www.dorat-ghawas.com

المورد العدد الاول ـ المجلد الثلاثون ـ ٢٠٠٢ ـ

في هذا العدد

المحتوى

■ **الموردة**

• الشرُ مرتَعٌ وخيم ..... د . محمد البكاء ٣

■ **بحوث ودراسات**

• النشاط التدويني في الحديث النبوي الشريف ..... عبد الخضر جاسم حمادي ٤ ـ ١٢

• الطاغوت في العربية ..... أ . د . عبد الله الجبوري ١٣ ـ ٢٥

• ابداعات العرب في اساليب الري والفلاحة ..... أ . د . صبري فارس الهيتي ٢٦ ـ ٣٣

• نودية ابن زيدون ..... د . احمد حاجم الربيعي ٣٤ ـ ٥١

■ **ملف العدد**

قراءة في كتب التراث ٥٢

• شعر الشنفرى الازدي ..... أ . د . محمود الجادر ٥٣ ـ ٦٠

• الوافي في نظم القوافي للرندي ..... د . هدى شوكت بهنام ٦١ ـ ٧٨

• ابو الحسن الخزرجي وكتابه العقود اللؤلؤية ..... أ . د . قحطان رشيد صالح ٧٩ ـ ١٠٣

■ **نصوص محققة**

• المادة الصوتية في كتاب الايضاح في القراءات للاندرابي ..... حقي عبد الرزاق الصالحي ١٠٤ ـ ١١٧

■ **نقد وتعقيب**

• ببليوغرافيا الخط العربي ..... أ . د . طه محسن ١١٨ ـ ١٢١

■ **الجديد في المكتبة العربية**

• المدخل الى كتاب سيبويه وشرحه ..... عرض واختصار : انور عبد الحميد الناصري ١٢٢ ـ ١٢٣

■ **اخبار التراث العربي** ..... حسن عربي ١٢٤ ـ ١٢٦

■ **مطبوعات وردت الى المجلة** ..... نجلة محمد ١٢٧ ـ ١٢٨

www.dorat-ghawas.com

أبو الحسن الخزرجي وكتابه العقود اللؤلؤية

أ. د. قحطان رشيد صالح

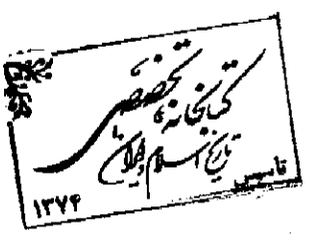

حياته :

هو أبو الحسن موفق الدين علي بن الحسن[١] بن ابي بكر بن الحسن بن علي بن وقاس الخزرجي الزُّبيدي — ينتهي نسبه إلى الصحابي قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج . ويقال : إن جدّه هو الذي عناه الزمخشري بقوله :[٢]

ولـــــولا ابن وقـــــاس وســـــابقُ فضلـــــه
رعيت هشيمـــــاً واستقيت مصرّدا

وإن صح هذا ، فذلك يعني أنه من أسرة فاضلة كريمة ، ذات مكانة اجتماعية وعلمية ، فأبوه كان أحد مصادره في الرواية ، وكان أولاده وبعض حفاده على حظ طيّب من العلم والمعرفة[٣] . وربما كانت ولادته في حدود سنة ٧٤٠ هـ أو قريباً منها ، ففي أخباره أنه مات في زبيد أواخر سنة اثنتي عشرة وثمانمئة وقد جاوز السبعين من العمر[٤] . وقيل كانت وفاته في المحرم من السنة المذكورة منصرفة من الحج بمدينة حرض[٥] .

كان الخزرجي موضع ثناء كل الذين تعرّضوا لذكره من المؤرخين القدامى والمحدثين ، إذ أشادوا بمكانته أديباً ومؤرخاً ، فالعسقلاني ينهب الى أنه « أشتغل بالادب ففاق أقرانه » ويقول بعد الثناء عليه : « اجتمعت به في زبيد »[٦] وعنه يقول السخاوي : « اشتغل بالادب ، ولهج بالتاريخ فمهر فيه » ، وهو من الفقهاء[٧] ، وكذلك لقّب نفسه في رواياته . وينهب جرجي زيدان الى انه « نشأة نبغ في أواخر القرن الثامن من الهجرة »[٨] وعنه

www.dorat-ghawas.com

يقول الزركلي : « مؤرخ بحّاثة »[٩] ويشيد به د . شوقي ضيف ، ويذهب الى انه مؤرخ كبير . ومن كبار الفقهاء والقراء والمحدثين في عصره[١٠] .

وكان ــ كما تشير أخباره ــ حسن الصلة ، وثيق العلاقة ، شديد الولاء للبيت الرسولي الحاكم ، فهو كثير الاشادة ببني رسول الذين حكموا اليمن ما بين ٦٢٦ / ٦٣٠ ــ ٨٥٨ هـ ، وبانهم من نسب غساني يماني ، وكان هذا يدفعه للفخر بانهم أبناء بلده وعمومته ، فكلاهما يمتّان الى أصل واحد ، فغسان والخزرج من الازد والازد من كهلان ، ولهذا قال :[١١]

بها ليل من غسّان من آل جفنةٍ
فروعُهمُ فرعي ونجـــرهمُ نجري

وليس أدل على ذلك مما ذكره الخزرجي في أحداث سنة ٧٨٤ هـ متحدثاً عن وفاة والدة السلطان الاشرف إسماعيل إذ قال[١٢] « فندبني السلطان ــ رحمه الله تعالى ــ للحج عنها والزيارة ، فزودني أربعة آلاف درهم ، ولما رجعت من الحج والزيارة سامحني في خراج أرضي ونخلي يومئذٍ مسامحة مستمرة مؤبّدة مستقرة ، جزاه الله عني أفضل الجزاء » وفي هذا الندب ، دليل على صلاح أبي الحسن ومكانته الاثيرة لدى السلاطين ، فضلًا عن مسامحته في أموال الخراج ، وربما كانت هذه المكانة وراء هذا الميل الواضح الى هذه الاسرة والثناء عليها في شعره وفي سرده لاخبارها ، وتخصيص تاريخ دولتها بكتابة « العقود اللؤلؤية » والتأكيد على عروبة نسبها ويمانية أصلها .

أما مكانته العلمية ، فإنها تتضح في هذه الجهود التي بذلها في شتى المجالات ، ومنها تصنيف الكتب التي صارت مصادر غنية للتاريخ اليمني خاصة ، والاسلامي عامة ، وهي تنبيء عن مقدار حفظه وتتبعه للأحداث : قراءة في كتب سابقيه ، ومشافهة ممن عاصروه . وأخذه العلم عن بعض الشيوخ وأبرزهم المقرىء أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عثمان بن حسن بن شنيبة[١٣] (٧٥٨ هـ) إذ نصّ على أنه فقيه صالح عارف بالقراءات السبع وطرقها .... وأن الخزرجي قرأ عليه القراءات السبع إفراداً وجمعاً[١٤] ، وهذا يعني أنه قرأ عليه وهو في سن مبكرة . ومما يؤشر هذه المكانة ، أن قاضي القضاة بزبيد مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي أجازة في جميع مقروءاته ومسموعاته ومستجازاته ومصنفاته[١٥] . ولم يكن الخزرجي مؤرخاً وأديباً فحسب ، وإنما كان فقيهاً ومدرساً لاقراء القرآن بالقراءات السبع في الجامع المبارك الاشرفي[١٦] . وأخذ عنه المؤرخون كابن الديبع الشيباني (تنظر قرة العيون ٢ / ١٨ ــ ٣٣ ــ ٥٣ ــ ٦٦ ــ ٧١ ــ ٧٤ ــ ٨٧ ــ ١٠٥) وكابن أبي مخرمة (ينظر تاريخ ثغر عدن ٦١ ــ ٦٩ ــ ١٤٥ ــ ١٧٠ ...) والعلامة الفاسي صاحب كتاب « العقد الثمين في تاريخ البلد الامين » الذي عاصره ، وقد أخذ عنه الخزرجي كذلك .

مصنفاته

أثرى أبو الحسن الخزرجي المكتبة التاريخية بالكثير من المصنفات التي تتفاوت في غزارة مادتها ومساحتها الزمنية ، واختلاف مسميات بعضه ، وصحة نسبة البعض الآخر له . فله تاريخ كبير على السنين وآخر على الأسماء وثالث على الدول[١٧] . وهذه المصنفات ــ كما وصلت إلينا أو ذكرتها مصادر الدارسين ــ هي :

١ ــ العسجد المسبوك في من ولي اليمن من الملوك : وهو مخطوطة من ٥١٢ صفحة نسخت في يوم الخميس الخامس من شعبان سنة ١١٠٣ هـ . وتمثل البابين الرابع والخامس فقط من القسم الثاني لكتاب كبير تشمل خطة محتوياته : المقدمة والقسم الاول ، وفيه خمسة أبواب تتناول ذكر الرسول ﷺ والعصور الاسلامية بعده . والأبواب مقسمة الى فصول . والقسم الثاني وفيه : خمسة أبواب تتناول ملوك مصر والشام وأفريقيا والقيروان والاندلس والمغرب الاقصى وملوك صنعاء وعدن وأمراء زبيد ووزراءها . والأبواب مقسمة الى فصول كذلك ، والفصول من السادس الى الثاني عشر من الباب الخامس تروى تاريخ الدولة الرسولية منذ تاسيسها حتى السلطان الاشرف ٨٠٣ هـ . وقد تكون للكتاب أسماء متقاربة السياق والدلالة ، فالزركلي في أعلامه يسميه (العسجد المسبوك في تاريخ الاسلام وطبقات الملوك)[١٨] ، وفي مقدمة الناشر لعصورة وزارة الاعلام والثقافة) أسماء أخرى للكتاب وقد زاد بعض النسّاخ على أصل الباب الخامس منه . وللكتاب مخطوطات عدة منها نسخة الحرم المكي[١٩] . وهو مرتب حسب السنين والشهور والأيام أحياناً . ولعله هو التاريخ الكبير الذي مرت الاشارة اليه آنفاً . وقد نشر شاكر محمود عبد المنعم في بغداد سنة ١٩٧٥ خمسة فصول من الباب الثالث وهو خاص بذكر الخلفاء من بني العباس ، وقد نسب ما نشره للسلطان الاشرف الرسولي[٢٠] وفي مقدمة الناشر أن « بعضهم ينسب هذا الكتاب لهذا السلطان (ت ٨٠٣ هـ) ، لان هذا السلطان ــ كما يقول السخاوي في الضوء اللامع ــ يقوم

www.dorat-ghawas.com

بكتابة أصول الكتاب الأولى ثم يدفعها الى من يتمّها ويهذّبها ، فإذا عرضها عليه زاد فيها أو نقص ، والخزرجي معاصر للملك الاشرف ووثيق الصلة به ، وربما كان ــ كما يقول الناشر ــ هذا تفسير نسبة بعضهم الكتاب الى الملك الاشرف .. وإذ نقف عند هذا الموضوع نقول : إن المتتبع لكتابات الخزرجي يجده يكرر رواياته ويوزعها في أكثر من مصنّف ، فكثير من رواياته الشعرية والتاريخية في كتابه « العقود » هي هي في كتابه « المسجد المسبوك » بنصّها الكامل في الاعم الاغلب ، وبعض رواياته التاريخية خاصة ، ماخوذة من كتاب « السلوك » للجَنَدي ، وقد تطول هذه الروايات وقد تقصر ، وهو في هذا التكرار يحذو حذو بعض السابقين ومنهم أبو منصور الثعالبي ، الذي يعدّ الجزء الأول من كتابه « لباب الاداب » تكراراً لكتابه « فقه اللغة » . والجزء الثاني من اللباب تكراراً لما أورده في كتبه الاخرى مثل : اليتيمة وغرر البلاغة والمنتحل[٢١] ، بل إن مادة « غرر البلاغة » تكرار لما في كتابه « الاعجاز والايجاز »[٢٢] ولعل الخزرجي ألف « العقود » أولًا ، وحين بدا له أن يضع كتاباً شاملًا في التاريخ من بداية العصر الاسلامي الى أوائل القرن التاسع الهجري ، لم يجد بدّاً من إعادة تاريخ بني رسول (المروي في العقود) ليتم له استيفاء هذه المادة التاريخية الواسعة . والموازنة بين الكتابين في اكثر من مسالة تؤكد أن الكاتب واحد واسلوب العرض واحد والجمل الدعائية التي يسوقها المصنف لنفسه واحدة . ولعل الخزرجي كان كالثعالبي يستجيب أحياناً لطلب بعض الحاكمين في وضع كتاب ما تتصل مادته بالاحداث والاعلام ، فلا يجد عذراً لعدم التلبية ، فيضطر لمثل هذا التكرار نتيجة ضيق الوقت أو تداخل المضوعات . وهي بعد ذلك مروياته ينقل منها ما يشاء ويضعها حيث يشاء . وإذا لم يكن الخزرجي موضع تشكيك في أمانته العلمية ، فليس هناك ما يبرر نسبة كتاب « المسجد » للملك الاشرف ، وأن يكون الخزرجي فيه مهذّباً له وناظراً . متفحصاً لمادته . ولو حصل مثل هذا الامر لذكره الخزرجي نفسه الذي حرص على إظهار علاقته المتينة بهذا السلطان ، ولو صحّ هذا الامر لاشار إليه مؤرخون متاخرون أخذوا عن الخزرجي كابن الديبع وابن أبي مخرمة . وتعاصر الرجلين ونوع العلاقة بينهما لا تقف سبباً قوياً لما يذهب إليه المتشككون ، صحيح أن أحداث الكتاب تنتهي بوفاة الاشرف سنة ٨٠٣ هـ ، وأن الخزرجي أهمل تاريخ ما يقرب من عشر سنين بعده سبقت وفاته هو ، ولكن هذه الملاحظة تنسحب على كتابة الموثوق النسبة إليه « العقود » الذي أنهاه باحداث شهر ربيع الاول من هذه السنة كذلك ، مطيلًا في ذكر محامد الاشرف ووصف غسله ودفنه والاشارة الى رثاء جماعة من الشعراء له ، واثبات قصيدة الفقيه اسماعيل ابن ابي بكر المقرىء في رثائه[٢٣] . ونسبة كتاب العقود اللؤلؤية » للخزرجي يؤيدها الاصل المخطوط له ، ممثلًا بالنسخة الخطية القديمة المودعة في دار كتب ديوان الهند بلندن[٢٤] . ولعله لم يكمل رواية الاحداث حتى سنة ٨١٢ هـ ــ سنة وفاته ــ بسبب المرض والشيخوخة أو انشغاله بمؤلف آخر وما الى ذلك من مبررات يمكن أن تساق ، وعلى أية حال فإن مثل هذا الموضوع يحتاج الى دراسة متانية ومتابعة لكل مصنفاته وما قد ينسب للأشرف من مؤلفات .

٢ ــ طراز إعلام الزمن في تراجم أعلام اليمن : وهو مرتب على الحروف ابتداءاً بأكابر الصحابة والتابعين من أهل اليمن الى أيامه . وتوجد منه نسخة في « المتحف البريطاني » والجزء الاول منه في مكتبة جامع صنعاء[٢٥] . وقد يسمى « طراز اعلام اليمن في طبقات أعيان اليمن » أو « العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن »[٢٦] ويعدّهما الزركلي كتابين ، كل عنوان مما تقدم ، اسم لكتاب مستقل عن الآخر . ويقول جرجي زيدان عنه : « تراجم مرتبة على الهجاء .... اقتبس أكثرها من الجندي » وتوجد منه نسخة في ليدن والمتحف البريطاني »[٢٧] .

٣ ــ الكفاية والاعلام في دول اليمن : مرتب حسب الدول ومنه نسخة في لندن[٢٨] . ويقول المرحوم الاكوع : « وينسب إليه كتاب الكفاية والاعلام في من تولّى اليمن من الاسلام » ومنه نسخة في مكتبة باريس وأخرى في لندن[٢٩] ، ويذكره ثانية تحت اسم : « تاريخ الكفاية والاعلام في من ولي اليمن وسكنها من الاسلام »[٣٠] وفي مقدمة المسجد المسبوك : وينسب للخزرجي كتاب اسمه : (الكفاية والاعلام في من ولي اليمن وسكنها من أهل الاسلام) . وهو في تاريخ اليمن ، ورتّبه حسب الدول التي حكمت اليمن . ويبتديء بالباب الرابع في ذكر ملك اليمن وملوك صنعاء وعدن ، رتّبه على عشرة فصول من ظهور الاسلام الى قيام دولة بني زُريع . والباب الخامس خصصه في تاريخ مدينة زبيد ومن حكمها وأرخ من عصر بني زياد الى عصر الملك الاشرف اسماعيل الرسولي . وهذا تكرار لما أورده في كتابه « العسجد المسبوك » وهذا يؤكد ما يشرنا اليه فيما تقدم ، في موضوع تكرار الخزرجي لاخباره في أكثر من كتاب .

٤ ــ مرآة الزمن في تاريخ زبيد وعدن . وينفرد الزركلي بذكره . وقد تكون مادته تكراراً لما في العسجد كذلك .

٥ ــ ديوان شعره . غير موجود[٣١] .

www.dorat-ghawas.com

٦ ــ مجموع رسائله . غير موجود[٢٢] .

٧ ــ قصيدة « الدافعة » ردّ بها على بعض معاصريه[٢٣] . ولا يعرف ، هل هي ضمن ديوانه المفقود أم أنها نص مستقل ؟ .

٨ ــ المحصول في انتساب بني رسول : يقول الخزرجي حين يتحدث عن قصيدة الحارث الرائش : « وقد كنت شرحت هذه القصيدة ... في جزء لطيف وسميته « المحصول ..... »[٢٤] فهل هذا الجزء ضمن كتاب لم يذكره ، أم أنه يشكل مصنفاً مستقلاً صغيراً ؟ .

٩ ــ العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ــ موضوعنا التعريف بالكتاب : وهو جزءان . ومنه نسخة قديمة مودعة في دار كتب ديوان الهند في لندن ، وقد استنسخه سيرجيمزرد هوس أواخر القرن التاسع عشر ، ثم ترجمه الى الانكليزية في مجلدين ووضع له الفهارس ، ورسم خرائط توضح الاماكن التاريخية التي ذكرها الخزرجي في كتابه . ثم أشار البروفسور أدوارد برون بطبع الكتاب عن نسخة سيرزا هومس .

وقد عهد للمرحوم بسيوني عسل تصحيح الكتاب عند طبعه ، فوجد بعد مقارنة النسخة المستنسخة بالأصل المخطوط أن سيررد هومس ترك من الكتاب عند نسخه تاريخ حياة الفقهاء وأرباب الطرق ، فاعيد الطبع اعتماداً على النسخة الاصلية وتمّ ذلك سنة ١٩١١ م[٢٥] . وقد توهم جرجي زيدان حين ذهب الى ان الاستاذ براون هو الذي نقل الكتاب الى الانكليزية وصدّر الترجمة في ثلاثة مجلدات سنة ١٩٠٨ م .

يبدأ الجزء الأول من الكتاب بمقدمة الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣ م في دار الآداب ببيروت ، تحدث فيها المصحح الثاني الاستاذ المرحوم محمد علي الاكوع عن جهوده لاخراج الكتاب إخراجاً محموداً أتبعها بترجمة موجزة للمؤلف ، ثم مقدمة المصحح الأول ، وقد مرت الاشارة الى ذلك . وهذا الجزء خلو من مقدمة للمؤلف ، كان من المفروض أن يتحدث فيها عن محتويات الكتاب ، ولِمَ وقف في تاريخه عند سنة ٨٠٣ هـ ؟ وعن السبب الذي دعاه لتاليفه ، وهل صنّفه استجابة لطلب أحد الحاكمين أو الاعيان ؟ أم أن صلته ببني رسول والتقرب إليهم هو الذي دفعه لتاليف كتاب خاص بدولتهم ؟ وهل كان تاليفه قبل كتابه « المسجد » أم بعده ؟ لنتبيّن السبب في هذا التداخل والتكرار في أخبار الكتابين فيما يتصل بالدولة الرسولية خاصة . وقد قسّم الكتاب الى أبواب وفصول ، وهو منهج اتبعه في كتابه « المسجد » بشكل أكثر دقة . ولا نجد في « العقود » البسملة التي بدأ بها « المسجد » بل يبدأ بالباب الأول ، وهو في « ذكر انتساب الملوك بني الرسول وكيف كان السبب في دخولهم اليمن واستقلالهم بالملك فيها » . ولا يذكر بعد هذا العنوان عدد الفصول وانما يسترسل بالحديث حول هذا الموضوع في أربع صفحات تناول فيها عراقة ملوك حمير وملوك غسان في المُلك في الجاهلية والاسلام . وبعدها يأتي فصل بلا ترقيم ، وفيه يواصل الكلام عن هذه العراقة بأقل من صفحتين . وبعده فصل آخر دون ذكر تسلسل كذلك ، يتحدث فيه عن خراب سد مأرب ، وبعد صفحتين يعنْون بكلمة فصل مرة ثالثة مواصلاً القول في المرحلة التاريخية بعد خراب السد ، وبعد صفحتين ونصف الصفحة يأتي فصل بعنوان : في ذكر ملوك الشام في الجاهلية من غسان ، وهذا الفصل في ثلاث صفحات . وفي فصل تالٍ يزيد قليلاً عن صفحة واحدة يذكر أسماء ملوك غسان ، ثم يتحدث عن آل جفنة عمال القياصرة على عرب الشام في فصل من خمس صفحات . ويتناول آخر فصول هذا الباب وهو في ثلاث عشرة صفحة ــ تاريخ بني رسول ملوك اليمن في الاسلام ، ويلاحظ أن هذه الفصول تتميز بالقصر ، عدا الفصل الأخير ، وان تداخل الأحداث فيها يمكن المصنف من دمج بعضها بالبعض الآخر ، مختصراً فصوله ومحققاً الوحدة الموضوعية في الوقت نفسه .

اما الباب الثاني فهو « في ذكر قيام الدولة المنصورية وأسبابها » وبعد أن يتحدث في صفحتين تقريباً عن اختيار الملك المسعود الايوبي للملك المنصور عمر الرسولي نائباً عنه في اليمن ، يضع لفظة فصل ، وليس في هذا الباب فصل غيره . وهو يتكون من ثلاث وثلاثين صفحة يخصّه باخبار السلطان المؤسس للدولة حتى مقتله في الجنَد سنة ٦٤٧ هـ . ويعد المصنِّف أمر السلطان الأول عمر بضرب السكة على اسمه ، وأمر الخطباء أن يخطبوا له في سائر أقطار اليمن سنة ٦٣٠ هـ ، هو البداية الحقيقية لقيام الدولة الرسولية ليؤكد صدق نبوءة الحارث الرائش حين قال في قصيدته الميمية[٢٦] :

ويظهر راية « المنصور » فيهم
على خاءٍ مخفّفةٍ ولامِ

فهو إذن باب من فصل واحد ، وقد كان بامكانه جعله في فصلين : فصل للحديث عن إنابة الملك المسعود للملك المنصور ، وفصل ثانٍ عن استقلال المنصور الرسولي بحكم اليمن حتى وفاته ، أو الاكتفاء بالباب دون الفصل . ونجد المؤلف بعد هذا الباب ، يخصص باباً لعهد كل سلطان دون تقسيم الابواب الى فصول . فالباب الثالث : في أخبار الدولة المظفرية وفتوحها ،

www.dorat-ghawas.com

ويريد يوسف المظفر بن عمر الذي يلقبه بالخليفة . والباب الرابع في ذكر الدولة الاشرفية الصغرى . والباب الخامس : في ذكر دولة المؤيّد وما كان فيها ، وبه يتم الجزء الاول ، وهو في تسع وخمسين وثلاثمئة صفحة . ويتناول المصنّف في كل باب ، الاحداث العامة ومآثر كل سلطان ، وشيئاً عن سيرته وصفاته ومجالسه ، والترجمة لمن يموت من الاعيان ورجال الدولة والفقهاء . ولأنه كان يسرد أخباره حسب النظام الحولي ، فقد عزف عن تقسيم الأبواب الى فصول .

ويبدأ الجزء الثاني ــ وهو في اثنتين وستين ومئتي صفحة ــ بمقدمتي المصحّحين ، ثم يأتي الباب السادس : وهو في ذكر أخبار الدولة المجاهدية . وبعده الباب السابع : في ذكر قيام الدولة الافضلية ووقائعها ، ثم الباب الثامن : في ذكر قيام الدولة الاشرفية الكبرى وبعض أيامها . وهذا الباب طويل تجاوز مئة وأربعين صفحة على الرغم مما يبدو أنه إشعار باختصار ذكر الاحداث إذ نص على « بعض أيامها » . وهذه الأبواب الثمانية تتكرر ــ مع شيء من الاختلاف ــ في كتابه « المسجد المسبوك » ولكنه يجعلها فيه سبعة فصول ضمن الباب الخامس من « المسجد » إذ إنه يختصر الباب الاول من أبواب « العقود » ويدمجه مع الباب الثاني منه جاعلاً من بابي « العقود » هذين ، الفصل السادس من « المسجد » تحت عنوان طويل هو[٣٧] : في ذكر الدولة الغرّاء الرسولية الزهراء وذكر قيام السلطان نور الدين أبي الفتح عمر بن علي بن رسول الغساني التركماني ــ ويريد بهذه النسبة سكن أسرة آل رسول في بلاد التركمان ــ وهكذا الأمر في الفصول الاخرى التي تنتهي بالفصل الثاني عشر ، وهو : في ذكر الدولة الاشرفية الكبرى ، دون أن ينكر ما قاله في « العقود » : « وبعض أيامها » .

الخزرجي الراوية

هذه الكتب التي مرّ وصفها ، والتي قام الخزرجي بتصنيفها ، شهود صدق على غزارة محفوظه ، وجمّ عطائه : راويةً وأديباً ، وأن عنايته امتدت الى تاريخ بلده اليمن خاصة ، فوثّقه في أكثر من كتاب ، والى التاريخ الاسلامي بشكل عام . والخزرجي الراوية يقترب في سرده للأحداث من منهج الجنَدي في كتابه « السلوك في طبقات العلماء والملوك » سواء من حيث اتجاهات هذه الاحداث وأنواعها ، أم ذكره للعادات والرؤى والكرامات ، أم بعض تعليقاته على القصائد والمقطوعات الشعرية ، أم ضبط أسماء الاعلام والاماكن . وقد سبق المؤرخُ الطبري الاثنين في هذا المنحى . نعم أخذ الخزرجي عن الجندي الكثير ولكنه أخذ عن غيره كذلك . وتلك سنّة المصنّفين في شتى ألوان المعرفة . فالمؤرّخ ابن الاثير يعترف باخذه عمن سبقوه وخاصة الطبري ، وفعل هذا الخطيب البغدادي عند وضعه لكتابه « تاريخ بغداد » ومثل هذا فعل مصنّفو كتب الأمثال والمعاجم وكتب الآداب العامة .

لقد أخذ الخزرجي عن رواة معروفين كثيرين لهم تصانيف منشورة . وحين يعود الدارس لبعض مؤلفات هؤلاء يجدهم ينسبون أخبارهم لرواة ثقات ، وأن مقابلة بعض ما ذكره الخزرجي لا يختلف كثيراً عما سرده هؤلاء في تصانيفهم . وفي مقدمة هؤلاء ــ كما أسلفنا ــ القاضي بهاء الدين الجندي . والمقارنة بين كتاب « العقود » وكتاب الجندي « السلوك » توضح مقدار الاخذ ونوع الموضوعات التي ذكرها . ويقرب ما اخذه عنه من خمسين رواية (ينظر في العقود على سبيل المثال ١ / ٣٨ ــ ٥٤ ــ ٦١ ــ ٧١ ــ ١١٧ ــ ١٢٠ ــ ٢ / ١٦ ــ ١٨ ــ ٣٧ ــ ٤٠) ويتباين أخذه عن الآخرين من رواية واحدة الى سبع روايات ، وأبرز هذه المصادر « العقد الثمين » للفاسي ، ينظر العقود ٦٦/١ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١٨٣ ، ١٨٦ . و « تواريخ الامم » لحمزة الاصفهاني « العقود » ٢٤/١ ــ ٣١ » والعقد الغالي الثمين ٤٦/١ ، ٦٤ ، ١٩٦ والسيرة المظفرية ٣٧/١ ، ٥١ ، ١٨٥ والكتابان للأمير بدر الدين اليامي . و « التيجان في ملوك حمير » رواية ابن هشام المعافري (٢٢/١ ــ ٣١) و « مرآة الجنان » لسبط ابن الجوزي » (٤٧/١) . كما روى عن ابن قتيبة (٢٥/١ ــ ٢٦ ــ ٢٨ ــ ٢٩) والمسعودي (٢٩/١) والحافظ الذهبي (١٢٦/١) ، و « بهجة اليمن » لابن عبد المجيد (٢٩٠/١ ــ ٣١٢ ــ ٣١٤ ــ ١٣/٢) وآخرين ، فضلًا عن دواوين بعض الشعراء (١١٧/١) .

وتشكل معلوماته الخاصة مصدراً رئيساً من مصادر الأخبار والأحداث والنصوص الشعرية والنثرية التي رواها في كتاب « العقود » ناسباً ما يرويه لنفسه . وهو في هذا الضرب من الرواية يسلك طرائق مختلفة ، ولكنها تتكرر على صفحات الكتاب ، من ذلك قوله عند إسناد النص : قال علي بن الحسين الخزرجي (٧/١ ــ ٣٦ ــ ٤٨ ــ ٥١ ــ ٨٧) وقد يتبع ذلك بقوله : « تجاوز الله عنه » (٢٠/١) أو قال علي بن الحسن عامله الله باحسانه (٢٧/١ ــ ٣٠ ــ ٣١ ــ ٣٤) ويكرر مثل هذا النهج في كونه مصدر المعلومات بعبارة : قال المصنّف رحمه الله

www.dorat-ghawas.com

(١/٩٨ ــ ٢٣٢ ــ ٢٣٩) وقال المصنف أيده الله (١/٣٢٠) وقد يقول : قال علي بن الحسن الخزرجي ، وأخبرني من أثق به من حفّاظ الاخبار (١/٢٤٤) . وكثيراً ما يروى نصوصاً شعرية عقب سرده لبعض الاحداث مباشرة ، وهذا يعني نسبة رواية هذه النصوص لنفسه ومن حفظه (١/١٤٤ ــ ١٤٦ ــ ١٦١ ــ ١٧١ ــ ٢٢٩ ــ ٢٣٥ ــ ٣١٢) وفي مواضع كثيرة أخرى .

ولكنه في روايات أخرى يذكر عمن سمع ومن أخبره بهذا الحدث أو ذاك ، من ذلك : قال علي بن الحسين الخزرجي : وحدثني والدي رحمه الله ... (٢/٣٣) وقال علي بن حسن الخزرجي : وحدثني حسين بن عبد الله ابن منصور ، قال : حدثني حسن بن موسى بن معلان عن جارية يقال لها : نخبة من جواري مولاتنا جهة صلاح والدة السلطان الملك المجاهد ، وكانت ممن في الحصن أيام الحصار ، قالت .... (٢/٢٧) وهكذا تمت حلقات الاسناد بين الخزرجي وشاهدة العيان . ومن ذلك : قال علي بن الحسن الخزرجي ، وأخبرني الفقيه اسماعيل بن علي بن ثمامة ــ وكان نقلة الاخبار ..... (٢/٥٩) وتنظر في سيرة هذا الفقيه فتجده حسن السيرة ، كامل القضاء مبارك التدريس ، وكان يسمى البكّاء لانه سريع العبرة (٢/٢٢٧) ومن هذا اللون في الاسناد ، قال علي بن الحسن الخزرجي : أخبرني الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد بن أبي بكر الرداد قال : كتب إليّ السلطان الملك الاشرف كتاباً (وأوقفني على كتابه اليه) (٢/١٨٩) ونلاحظ أن المصنف يؤكد صلاح الراوية وإطلاعه على نص الكتاب إمعاناً في الدقة وسلامة الخبر . ومن هذا الضرب كذلك ، قال علي ابن الحسن الخزرجي : أخبرني الامير نجم الدين محمد بن ابراهيم الشرف ، المتولي زبيد يومئذٍ قال : أخبرني الفقيه تقي الدين عمر ابن أحمد بن عبد الواحد قال : أخبرني بعض الرعية الثقات أنه رأى .... (٢/٢٤٠) والخبر تام السلسلة ، وأن الشرف هذا كان والياً محبوباً حسن السيرة ، ويكرر المصنف عنه الرواية (٢/٢٤٠) وله ، أخبرني الفقيه علي بن محمد الناشري ، قال : أخبرني بعض المسافرين ..... (٢/٢٥٨) ويأخذ عنه ثانية قائلاً : حدثني الفقيه أبو الحسن علي .... (٢/١٨٥) ويكرر المصنّف الاخبار عنه (٢/٢٣٦) والفقيه الناشري ممن درسوا في الجامع المبارك وقد مدحه الخزرجي بشعره (٢/١٧٢) . ومن هذا الاسناد المتكامل قوله : أخبرني الفقيه محمد بن ابراهيم الصنعاني قال : أخبرنا شيخنا الفقيه العلامة نفيس الدين سليمان بن ابراهيم العلوي ، قال : حدثني القاضي شرف الدين أبو القاسم بن عبد الرحمن الاشرفي إنه قال : وجدورقة مكتوبة .... الى آخر الخبر (١/٢٤٥) ونظير هذا قوله : أخبرني الفقيه الامام العلامة جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي ، وكان ممن يختص به السلطان المجاهد قال : أعطاني السلطان المجاهد .... (٢/١٠٥) .

وقد يعمم في ذكر الرواية دون تحديد سنده ، فيكثر عنده القول : أخبرني من أثق به (١/١٢٥ ــ ٢٤٢) واتفق المؤرخون جميعاً (١/٣٥) ، وقال علماء السير والاخبار (١/٢٥١) ويقول بعض الانصار (١/٢١) وذكر بعض الاخباريين (١/٢٩) ، وفي بعض التواريخ ... (١/٣٠) وحكى بعض تلامذته (١/٦٥) .

وربما صدر خبره بـ « يقال » (١/١٠٥) و« قالوا » (٢/٥٩) و « روي » (١/١٠٤) و « يروى » (١/٤٩ ــ ٥١ ــ ٥٢ ــ ٦٠ ومواضع كثيرة أخرى) و « يحكى » (١/٥٢ ــ ١٣٨) وعندئذ يتوقف قبول الرواية على مبلغ الثقة بالخزرجي نفسه .

ومما يتصل بهذا الموضوع أمران ، أولهما : أن الخزرجي قد يذكر الخبر ــ أو بعضه ــ من مصدرين تحرياً للدقة ، كالذي نقله عن صاحب « السيرة المظفرية » بشان وفاة الناصر أيوب بن طفتكين ليلة الجمعة الثاني عشر من المحرم سنة عشروستمئة ، ثم عقب بـ « قال الجندي : أول سنة عشرة وستمئة . وعندي أنه هو الصحيح »[٣٨] وحين ختم خبراً بقوله ؛ « وذلك على رواية ابن عبد المجيد ثمانون يوماً ، وعلى رواية الجندي نحو من تسعين يوماً »[٣٩] وثانيهما : أن المتتبع لنقله عن الجندي خاصة ، قد لا يجد حدوداً تفصل بين رواية الجندي ورواية المصنّف ، وذلك أمر كان ينبغي أن يتنبه عليه الخزرجي على الدوام ليبتعد عن هذا الخلط الذي يحسب عليه[٤٠] . وقد يروى أخباراً يمتزج فيها الحدث بالشعر والوصف[٤١] ونجدها مع اختلاف بسيط في سلوك الجندي[٤٢] ، دون ان يتبين القارىء مدى إفادته من صاحب السلوك . ولكنه في حالات أخرى يوضح حدود هذه الافادة وانتهاء النقل بين فقرة جديدة بقوله : « وفي هذه السنة .... أو وفيها ... » وهذا كثير ، قد يختم الاخذ عن الآخرين بـ « انتهى »[٤٣] وقد يشعرنا بانتهاء النقل عن الآخرين حين يبدأ بخبر يسند روايته لنفسه ، قال : علي بن الحسن الخزرجي[٤٤] .

وأيا كان الامر ، فالذي تقدم ذكره من مصادره المكتوبة أو رواياته الشفوية المسندة ، تظهر الرجل مؤرخاً أميناً فيما رواه من أخبار وأحداث كبيرة كانت أم صغيرة .

www.dorat-ghawas.com

أنواع الروايات

وصف د . شوقي ضيف كتاب العقود وصفاً دقيقاً مشيراً ، الى أنه كتاب نفيس لا يعرض التاريخ السياسي فحسب ، بل يعرض أيضاً التاريخ الثقافي والحضاري عرضاً مفصلاً[٤٥] . وقارىء هذا الكتاب يتبين أن الروايات الكثيرة التي ضمّها هذا الكتاب بجزأيه ، ذات اتجاهات عديدة ، تتناول مختلف مناحي الحياة وأبرزها :

الرواية السياسية والادارية : وقد عني فيها المصنف غاية العناية ، فهو قد وضع كتابه أساساً لتاريخ الدولة الرسولية ، ونجده يطيل في الحديث عن ارهاصات قيامها وكيفية تاسيسها ، وما تخلل ذلك من حروب ووقائع بين بني رسول وخصومهم من الثائرين والمناهضين لهم في الداخل ، وبعض صدامات لهم مع جيوش آتية من خارج حدود السلطنة ، كالحديث عن غارة قادمة من الديار المصرية وعبث الجند بأهل تعز والجند وغيرهما[٤٦] .

وكان إذا ما ذكر وفاة سلطان تحدث عن دفنه وذكر محاسنه ومآثره ، ثم الحديث عن السلطان الجديد وكيفية توليه ، مشيراً الى صدور المنشورات الديوانية للاعلان عن قيام دولة السلطان الجديد ، فضلاً عن خوضه في تفاصيل تاريخية كثيرة مثل الاشارة الى رسائل الطاعة ووصول الهدايا الى الحاكمين . وما يعكس ذلك من شؤون العلاقات الخارجية ، ومنها وصول رسول صاحب كنباية وملك السند ورسائل صاحب هرموز ودهلك وأهالي بلدة كاليقوط لاعلان الولاء[٤٧] . الى جانب ذكر حالات الصلح ، أو أخبار الفتن والنزاعات والشغب في أرجاء الدولة . ومنها إغارة السلطان المؤيد على المعازبة بعد فساد أمورهم في التهائم وما انتهى اليه الامر السلطاني إذ شيّخ عليهم امرأة منهم يقال لهـا : بنت العاطف[٤٨] .... ومنها إغارة السلطان الاشرف ابن السلطان الأفضل على بلاد العبيد عند قرية (بيت العقار) بعد خروجه من قرية (بيت الفقيه بن عجيل) وكيف « سار بحملين من الطبلخانة والزمّار وراية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ورايته المنصورة »[٤٩] . إضافة الى يوميات سلطانية تخصّ حجّهم وتنقلاتهم وصعودهم الحصون ونزولهم منها ، أو القبض على هذا وإطلاق سراح ذاك . وقد يطيل الحديث في الأخبار الثانوية ومنها ما يتصل بمن يولد أو يخنق أو يتوفى رجالًا ونساء من الأسرة الحاكمة أو غيرها .

ومما يتصل بالجانب الإداري وتنظيم شؤون الدولة ، الاشارة الى تولية الوزراء[٥٠] والكتّاب ، وذكر ألقاب الكثيرين من أصحاب المراكز الرسمية في مختلف المدن ــ وخاصة الكبيرة منها ــ ومن هؤلاء : المشدّ أو مشدّ الاستيفاء ، أو أستاذ الدار ، أو الناظر ، أو الوالي ، أو صاحب زبيد أو غيرها والمقدم والمقطع[٥١] .....

الرواية الاجتماعية : وهو موضوع متشعّب ، امتد حديثه صفحات طويلة ، شملت كل ما يتصل بشؤون المجتمع وأفراده خاصهم وعامهم . من ذلك اهتمامه بحياة الفقهاء والقضاة والترجمة لحياة المئات منهم ، بل اطالة هذه التراجم لبعضهم من حيث صفاتهم وثقافاتهم وتصنيفهم الكتب وأسماؤها ووفيات هؤلاء ، مؤرخاً ذلك بالسنة والشهر واسم اليوم وتاريخه في كثير من الاحيان[٥٢] . كما تجلت عنايته بالاحداث التي تمس شؤون الناس ومعايشهم ، من ذلك ذكر سنوات القحط وارتفاع الاسعار ومعاناة الناس وموت الكثير منهم بسبب ذلك . ومنه ما حدث سنة ٦٥٥ هـ في صنعاء وصعدة والظاهر ، إذ أكل الناس الكلاب والسباع[٥٣] ، ولعل من أسباب هذا القحط ما تنزل في البلاد من أسراب الجراد وتلف الزرع وألوان الثمار ، ومن ذلك ما حدث سنة ٦٥٦ هـ أيضاً وفي سنة ٧٠٢ هـ إذ عمّ القحط الشديد اليمن جميعه سهلًا ووعراً[٥٤] . وبسبب سقوط المطر المدمّر كالذي حدث ليلة السبت آخر شهر جمادي الآخرة سنة ٦٩٧ هـ ، إذ عم اليمن مطر عظيم وخاصة في تهامة أتلف السفن وهدم الحصون وقلع الأشجار[٥٥] ، ومثله ما حصل من مطر شديد في يوم التاسع عشر من صفر سنة ٧٤٣ هـ ، فتهدمت البيوت وقتلت النفوس وهلكت الحيوانات . وافتقر الكثير من أهل وادي زبيد . كما يؤرخ لبعض الحرائق المدمرة ، ومنها الحريق الذي حدث في زبيد سنة ٧٨١ هـ وحريق آخر حدث سنة ٧٩٢ هـ[٥٦] ، كما يشير الى انتشار الأمراض كالجذام[٥٧] ، وهذه الاحداث تقوده الى تسجيل الشؤون الاقتصادية وانعكاساتها على حياة ابناء المجتمع ، من ذلك تفصيله القول في الغلاء الذي حصل سنة ٨٠١ هـ وبيان مدى ارتفاع الاسعار وفحشها وزيادة المكاييل ، وما حصل في مجاعة حصلت في رمضان في سنة ٤٩٣ هـ إذ بيع المُدّ من الطعام بنيف وتسعين ديناراً[٥٨] ، ويتصل بهذا الموضوع الاشارة الى ظهور الدراهم الجديدة وما يتبعه من تغيّر بالاسعار كالدرهم السعيدي المظفري والدرهم الرياحي (الرياضي)[٥٩] .

ومما يتصل بالحياة الاجتماعية حديثه عن مظاهر الزواج وإقامة الأفراح لمدة سبعة أيام[٦٠] ومثلها في مجالس العزاء[٦١] ، فضلًا عن ذكر موسم الخيل في عدن[٦٢] ، والاشارة الى الولادات الغريبة ، كأن يكون للمولودة أربع أياد وأربع أرجل ، أو أن تلد جارية ولداً له وجه جدي وأعضاؤه وحواسه غريبة المواضع[٦٣] .

وعني بتوثيق الظواهر الطبيعية ، من ذلك ما حدث يوم

www.dorat-ghawas.com

الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٧٩٣ هـ ، إذ ظهرت هالة على الشمس لمدة ثلاث ساعات تقريباً الى آخر الساعة السادسة ، وكانت هالة كبيرة بينها وبين الشمس من كل ناحية نحو من عشرة أذرع ، ولونها بين البياض والصفرة والحمرة والخضرة وكان هناك شعاع أبيض كانه الفضة البيضاء ، وتكرر ذلك بعد شهر[٦٤] ومن ذلك حدوث الزلزال في صنعاء سنة ٦٥٩ هـ[٦٥] ، ووصفه لزلزال حدث في السودان سنة ٨٠٢ هـ[٦٦] .

ولأن الشأن الديني ركن أساس من حياة المجتمع ، فقد كان اهتمامه كبيراً بكل ما يتصل بحياة الفقهاء الشخصية والسلوكية والعلمية ، وهذا معلم بارز يؤكد هذا الاهتمام ، إذ أفاض بالاشادة بهم وبمواقفهم وتشددهم بتطبيق الشريعة الاسلامية ، كالذي ذكره عن اصرار الفقيه عبد الرحمن بن اسماعيل (٦٥٤ هـ) على صيام السلطان عمر الرسولي شهرين كفّارة جماع في نهار شهر رمضان قائلًا : « الفرض بالكفارة حسم مادة معاودة الذنب ، ولا تدحسم مادة معاودة الذنب في هذا الفعل من مولانا السلطان إلا بذلك[٦٧] . رافضاً ما أراده بعضهم من الجزاء بالاطعام أو الاعتاق . ويشكل إكثاره من رواية الرؤى والبشارات وكرامات الاولياء والصالحين مثالًا على هذا التوجه الذي ينساق أليه بحسّ المؤرخ والعاطفة الروحية التي تضع الاولياء في مقامات رفيعة ، حتى وإن أغرق بعض هذه الرؤى بالخيال والخرافة[٦٨] . ومن رواياته ذات التوجه الديني حديثه عما فعله جند المظفر سنة ٦٧٢ هـ في « بيت حنبص » إذ كسروا أوعية الخمور وأراقوه ، وقد تغنى الشاعر غازي بن المعمار بهذا الحدث منوّهاً بفعل هؤلاء ، غامزاً الأشراف الذين يشربون الخمر خفية ويظهرون النسك للناس في الجهر[٦٩] :

ولما فتحنا « بيت حنبص » عنوةً
وجدنا به الادواجَ ملأى من الخمر
وعنـد أمير المـؤمنين عصابـةٌ
يقولون بالبِيض الحسان وبالسُمرَ
فإن تكن الاشراف تشرب خفيةً
وتُظهر للناس التنسكَ في الجهر
وتاخذ من خلع العذار نصيبها
فـاني أميرُ المـؤمنين ولا أدري

وتتعدد رواياته عن الحج وكسوة الكعبة[٧٠] ، ووصفه لبعض المواسم[٧١] . كما كان يعنى بذكر المجالس التي تعقد لقراءة الكتب الدينية وختمها ، وحضور الاعيان والناس الآخرين ، محتفلين بمثل هذه المناسبات[٧٢] . ومن مظاهر الاهتمام الديني كثرة الربط والخانقاهات وبناؤها في اماكن متفرقة للعبادة وأداء الفروض والتعلّم ، إذ يُرتب فيها : إمام وشيخ ومؤذن وقيّم ومعلم لتعليم الايتامَ القرآن الكريم بعد أن يوقف عليهم وقف حسن[٧٣] . ويتصل بهذا السياق ذكره لاقامة مشايخ الصوفية « سماع المحيا » في الليلة العاشرة من شهر جمادى الآخرة[٧٤] ، وحديثه عن بعض من يتراقص من الصوفية في قرية « البهاقر » مستشهداً ببيتين شعريين لاحد الفقهاء في نم ذلك[٧٥] . ويكثر عنده الحديث عن المتصوفة ونقل كلامهم وأدعيتهم والتعريف باسمهم والاشارة الى مجاهداتهم[٧٦] . وقد يخلط بين الرواية السياسية والدينية للاحاطة بالخبر كاملًا ، كما في حديثه عن استيلاء بعض الأئمة والأمراء والأشراف على صنعاء سنة ٦٧٤ هـ ، وحين رقي الامام منبر مسجد صنعاء أذّن المؤذن في منارته « حيّ على خير العمل » خاتماً هذه الرواية ببيتين يصوران عدم رضا المصنّف عن هذا العمل[٧٧] .

ولو علموا عقبى الامور لقابلوا
أوائلها بالحزم واطّرحوا العُجب
ولكنه المقدور يلوي بذي الحجا
فيسلبـــه إن حمّ آراءه سلبـا

وتعنى الرواية الاجتماعية بما يكشف عن الجانب الحضاري الذي صارت اليه البلاد في شتى المجالات . وهي تظهر مدى الاهتمام بالبناء وإقامة العمائر ذات الصلة الوثيقة بالنواحي التعليمية والدينية والحياة الاجتماعية . فالكتاب يشير الى بناء ما يقرب من مئتي مدرسة في المدن والقرى مثل : تعز وزبيد والجند وجبلة وغيرها ، وكانت هذه المدارس تخصص للقراءات أو للحديث النبوي أو الفقه . ويرتب في هذه المدارس ، مدرس وطلبة ومؤذن وإمام في أوقات الصلوات الخمس ، كما يخصص وقف لكفاية الجميع . وقد يُجعل إلى جانب هؤلاء معيد ومعلم وقيّم وشيخ ونقيب[٧٨] . وقد تبنى مدارس خاصة ببعض المذاهب[٧٩] . وربما أوقفت في بعض المدارس خزانة من الكتب النفيسة[٨٠] . وكما بنيت المدارس داخل اليمن فانها بنيت خارجه كالمدرسة المجاهدية في مكة المشرفة[٨١] . وقد اسهم في بناء هذه المدارس السلاطين والأمراء وبعض سيدات القصر السلطاني الى جانب تنظيم شؤونها[٨٢] .

وكان الاهتمام واسعاً في مجال بناء المساجد على امتداد السلطنة اليمنية . وقد شاركت نساء القصر في هذا العمل الجليل

www.dorat-ghawas.com

فضلاً عن سلاطين الدولة ورجالها . وكانوا يرتبون فيها إماماً ومؤذناً ومدرساً وقيماً ووقفاً يقوم بكفاية الجميع منهم واطعام الوافدين إليها . وقد يرتبون في المسجد مؤذنين وقيمين . وكانت هذه المساجد تسهم الى جانب واجباتها الدينية في إغناء العملية التعليمية إذ يجتمع الناس فيها لقراءة الكتب[٨٣] .

ومن الطريف أن نجد بعض الفقهاء يذم المدارس ويدعو الى ملازمة المساجد كلياً للثواب :[٨٤]

بيع المدارس لو علمت بدارس
يغلـو وأخسرُ صفقـة للمشتري
دعهـا ولازم للمسـاجـد دائمـاً
إن شئت تظفر بالثواب الأوفر

ومن هذا المنطلق بناء الربط والخانقاهات ، وقد مرت بنا الاشارة الى ذلك .

ويكثر الخزرجي الاشارة إلى بناء القصور ووصف عمارتها كالقصر المعقلي في ثعبات وآخر في صالة ، وقصر الشجرة في تعز وقصر عوهان في جبلة ، الى جانب التمثّل بالشعر الذي قاله الشعراء في وصف هذه القصور . فضلاً عن الحديث عن بناء الاسوار وعمارة أبوابها وخنادقها وزخرفة الشوارع وإقامه الحصون ، كالذي عرف عن السلطان المجاهد من عناية بالبساتين والمساكن العجيبة والقصور الغريبة[٨٥] ..

الرواية الادبية

كتاب « العقود اللؤلؤية » رافد ثقافي ثري الاخبار ، بل هو من أوفر المصادر مادة تاريخية وأدبية في عصر يعد من أزهى العصور اليمنية ، من حيث الوحدة السياسية والبناء الاجتماعي والحركة الثقافية الواسعة . ووقفة متأنية عند هذا الكتاب تكشف عن مدى حاجة الدارس الادبي خاصة ، لمثل هذا النمط من الكتب التي يواكب فيها النصُ الادبي الخبرَ التاريخي ويلتصق به ، يوضحه ويُغنيه . وهذا ما تجده في الكثير من الكتب التاريخية التي اختط لها أصحابها هذا النهج المعرفي العام كالطبري والمسعودي وابن الاثير ، وكذلك كان الخزرجي يسرد أخباره ثم يتبعها في أكثر الحالات بالنص الادبي المناسب . وقد وجدنا في كتابه هذا مادة شعرية واسعة في مختلف الاغراض : الحماسة والمديح والوصف والرثاء والهجاء والفخر ... ويقرب ما ذكره من أسماء الشعراء (٧٥) شاعراً يمنياً وغير يمني منهم السلطان والأمير والفقيه والوزير والكاتب ... ويبلغ مجموع ما أنشده من الشعر (١٣٧٨) بيتاً ، منها (١٢٧٣) منسوبة لقائليها و (١٠٥) أبيات غير منسوبة ، وكثير من هذه لأبي الطيب المتنبي . ويلاحظ أنه عرّف ببعض الشعراء وما يتصل بجانب من حياتهم والاشارة الى وجود دواوينهم كمحمد بن حمير والقاسم بن هيثم والشيخ علوان بن عبد الله وعفيف الدين عبد الله بن جعفر[٨٦] ، والذي يستوقف الدارس ان الخزرجي لم يقف عند الكثير من الشعراء وقفته عند الفقهاء ومنهم الفقهاء الشعراء ، إذ كان يذكر تواريخ مواليدهم ووفياتهم وجانباً من حياتهم الاجتماعية والدينية والادبية[٨٧] . ولعله لم يشأ أن يتحول مؤلفه الى كتاب أدبي ، فالرجل أولاً وأخراً مؤرخ أخبار وسارد أحداث ، وعلى أية حال ، فان الكتاب يكشف عن مدى إحاطته بالجوانب الادبية للعصر الذي أرخ له ، من حيث المادة الشعرية التي اثبتها وما ذكره من اسماء العشرات ممن قالوا الشعر ــ وهو منهم ــ . وقد أثبت لكثيرين قصائد طوالاً تتراوح أبياتها بين ٣١ ــ ٤١ ــ ٤٣ ــ ٤٥ ــ ٤٧ بيتاً .

وتقل عنده رواية النصوص النثرية قياساً بالنصوص الشعرية ، وما ذكره من النثر يتوزع بين كتاب تقليد ورسائل تهنئة وإعلان طاعة ومنشور سياسي ودعوة لتأييد موقف سياسي أو الرد عليه ، ومنها كتب أدعية ومبايعة ونصر . وهي بمجموعها تمثل الانموذج الذي صارت عليه الكتابات النثرية ، وما تميزت به من تكلّف للسجع ، وحرص على الموازنة بين الجمل أحياناً ، وترجيح هذه النصوص بالآيات القرآنية والأبيات الشعرية التي تتناسب وسياق المعاني بياناً وتوكيداً . فضلاً عن نص نثري وصف ينسب لحسان بن ثابت أو سجع كهان وذكر لبعض الامثال[٨٨] والرسائل الاخوانية .

ومما يتصل بهذا الجانب الادبي للكتاب ذكره لما يزيد على مئة وعشرين مصنّفاً في مختلف العلوم المعرفية : الدينية ، في الفقه والفرائض والتفسير والحديث . واللغوية والادبية مما يتصل بالنحو والالفاظ والعروض والأدب بمعناه العام . والتاريخية ، في الاخبار والسير والانساب والقضاء والسياسة والادارة ، وفي العلوم الصرف كالحساب والجبر والمقابلة والفلك والطب والدواء والبيطرة ، فضلاً عن كتب في الموسيقى والطرب والالحان[٨٩] . وكان الانتهاء من تصنيف بعض الكتب يتخذ شكلاً احتفالياً يحمل المصنّف الى مقام السلطان مرفوعاً بالطبلخانه مع صلة مجزية للمؤلف[٩٠] .

وهو بذلك يلقي الضوء على مبلغ ما وصل إليه النشاط الثقافي من حركة واتساع ، وما بذله العلماء والادباء والفقهاء في

www.dorat-ghawas.com

اليمن ، من جهود أثرت التراث العربي ــ الاسلامي ، وحفظت له الكثير من هذا النتاج الفني المتنوع . ولان الكتاب مصدر أدبي جليل فقد رجع اليه العديد من الدارسين المحدثين المهتمين بتاريخ اليمن وأدبه ومنهم الدكتور شوقي ضيف[٩١] والدكتور يحيى حسان في كتابه الشعر اليمني في القرن التاسع ، ومحقق كتاب « نسمة السحر » فما أثبته الخزرجي من نصوص شعرية ونثرية ثروة قيمة في موضوعاتها وفي دلالاتها وأسماء الاعلام اللامعين من قائليها .

والذي تقدم يعني أن هذا الكتاب ذو مادة غزيرة قيمة تتوزع في اتجاهات مختلفة : سياسية واجتماعية ودينية واقتصادية وحضارية ، إلى جانب العناية بالاعلام المشهورين من ملوك وأمراء ووزراء وقضاة وفقهاء وشعراء وكتّاب ، فضلًا عن ذكر السيدات وما قدّمته من عطاء . وتجدر الاشارة هنا إلى أن الخزرجي حرص أشد الحرص على ضبط أسماء الاعلام وألقابهم وأسماء الامكنة كذلك ، تحرياً للدقة في تلفظها وليبعدَ الخطا واللبس عن الدارس والقاريء ، وخاصة حين يتحمل اللفظ أكثر من قراءة ، كقوله مثلًا : اسمه رَتن براء مفتوحة وتاء مثناة من فوقها وآخره نون وهو على وزن وتن مفتوح أوله وثانيه . ومثله : قرية عُقاقه بضم العين المهملة وألف بين قافين وآخر الاسم هاء[٩٢] ولعله حذا في ذلك حذو الجندي وابن خلكان . وقد حاول الخزرجي ــ ما استطاع ــ أن يختار من التاريخ عيون أخباره وجليل أحداثه وأن لا يكون حاطب ليل . واجتهد ما وسعه الاجتهاد في أن يتطابق العنوان مع المضمون . ولكنه على أية حال مؤرخ عزّ عليه أحياناً أن يهمل حتى الخبر الصغير البسيط الذي قد يلقي ضوءاً على قضية ما ، وهو في النهج التاليفي يحذو حذو الطبري الذي قال متحدثاً عن سرده للاخبار : « إنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدّي إلينا »[٩٣] .

موقفه من الروايات :

الخزرجي مؤرّخ ــ كغيره من المؤرخين الذين سبقوه ــ يروي الخبر ويسرد الحدث جاهداً في توثيق ما يرويه عن تاريخ الدولة الرسولية ، وما وقع في عصرها من أحداث جسام خارجية وداخلية . وقد حرص الخزرجي على تاصيل الخبر عن قيام حكم بني رسول واثبات نسبهم الغساني اليمني في أخباره المنقولة وفي شعره هو وشعر الآخرين . والرجل في كثير من هذه الروايات ، راوية لا ناقد ممحّص ، فقد لا يقف عند الكثير من رواياته فيقول رأياً أو يبدي تعليقاً ، حتى تلك التي يبدو عليها الانتحال ومن ذلك إيراده القصيدة الميمية المنسوبة للملك الحارث الرائش الحميري ، وهي من الشعر التعليمي الذي يستعرض فيه قائلوه الاحداث التاريخية منظمة مسلسلة . فهذه القصيدة وضعها قائلها ليظهر عراقة الملك الرسولي ، وأن الحارث هذا تنبّا بهذا الملك ، متحدثاً عن مستقبل الزمان ومخبراً بما سيكون من الحوادث قبل وقوعها ، كما في قوله ــ بعد تسعة عشر بيتاً :[٩٤]

ويظهـــر رايـة المنصـــور فيهم
على خـــاء إذا نطقـــوا ولام
ويملـــك بعـده رجـل نحيـل
على آبـــائـــه أزكى الســـلام

وإذ يوافق الخزرجي قائل هذا الشعر على تنبؤاته يقول مشيراً الى البيت الاول : « فكان كما قال من ظهور الملك المنصور واستقلاله في اليمن وتواتر ذريته من بعده إلى يومنا هذا ، وهو عمر بن رسول .... ويتساءل المرء ، هل كان حساب الجُمَل معروفاً منذ أيام الحارث قبل الاسلام ، وأن حرف الخاء قيمته ٦٠٠ وحرف اللام ٣٠ فيكون المجموع ٦٣٠ وهو التاريخ الذي تولى به المنصور الرسولي ملك اليمن ؟ الخزرجي يعرف أن « التاريخ الشعري » الذي يعتمد على ترتيب الحروف الابجدية وما يقابلها من أرقام لضبط تاريخ مناسبة من المناسبات ، عرف متاخراً ــ أي في العصر الاسلامي . يقول الشيخ محمد حسين آل ياسين : « وعند ما شعر العرب بالحاجة الملحة الى الحساب ... بادروا باديء بدء الى إعطاء حروفهم الابجدية قيماً حسابية معينة ، فكانوا يرمزون الى الواحد بحرف الالف ، والى الاثنين بحرف الباء والى الثلاثة بحرف الجيم ــ وهكذا ، ويطلقوا على ذلك اسم « حساب الجمّل »[٩٥].

ولعل الخزرجي يعرف ان القصيدة قيلت متاخرة تاييداً للرسوليين واظهار حقهم التاريخي ضد خصومهم والخارجين عليهم ، وربما كان صاحب النص من شعراء السلطان المظفر الذي يعنيه الشاعر في البيت الثاني .

ولعل من مظاهر الشك عنده قوله آخر الخبر « والله أعلم » صحيح أن كثيراً من المؤرخين يختمون بعض اخبارهم بهذه الجملة ذات المغزى الديني ، ولكنها لا تخلو من دلالة خبرية كذلك . فالخزرجي يكررها بشكل خاص في خاتمة أخباره التي تحتمل الشك ، كقوله متحدثاً عن عمرو بن فريقياء : إنه كان يلبس كل يوم حلتين ثم يمزقهما آخر يومه يانف ان يعود فيهما ويكره ان يلبسهما غيره ، وعمّر عُفراً طويلًا يقال : انه بلغ من العمر ثمانمئة

www.dorat-ghawas.com

سنة والله أعلم[٩٥] . أو حين يروى روايتين بينهما اختلاف[٩٦] . وروايته عن أخ مزعوم للملك المجاهد ربّي مع الجن وحضر بعد أن انشق الجدار عنه لمساعدة المجاهد في حصاره وبعد حمايته للسلطان عاد الى موضعه الذي كان فيه . ولعل الخزرجي أدرك أثر الخيال في اصطناع هذا الخبر فعقب بـ « الله أعلم »[٩٧] . وهو بمثل هذه الاخبار يقتفي أثر المؤرخين المتقدمين كالطبري الذي قال : « فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ، مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وانما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا[٩٨] . ونقرأ هذا الخبر الذي يتحدث فيه عن وفاة السلطان المظفر اذ يقول : « وكان ملكه ستاً واربعين سنة ، وهو الذي عناه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله في ملحمة تخص أهل اليمن : « ثم يملك الملك المظفر فيسوسهم ثلاثين وسبعة عشر »[٩٩] . ومؤرخنا لا يذكر مصدره الذي أخذ عنه قول الامام علي كرم الله وجهه ، ولا يتساءل : هل يمكن أن يصدر عن الامام مثل هذا القول المتنبيء ؟ وما هذه الملحمة التي أشار إليها ؟ وأخيراً فهو لا يعلق بشيء ولا يختم حتى بـ « الله أعلم » ، فالمظفر تولى السلطنة المدة المعروفة ، ولا يحتاج لمثل هذا القول ، ولكن الخزرجي ارتضى الرواية ، ولعله ممن يذهبون مذهب من يعتقدون أن لسيدنا علي مثل هذه الكرامات والقدرات التي لم يقل الامام نفسه بها . فلعل تقربه لآل رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ وتصديقه لما نسب لعلي (ر) يقف وراء روايته لمثل هذه الاخبار دون تعليق .

ولكننا في روايات أخرى نقرأ للخزرجي أقوالاً أو تعليقات تنمّ عن موقف مصحح لبعض هذه الروايات أو مستدرك لما تتضمنه من أخبار ، من ذلك تعليقه على خبر نقله عن أبي الحسن حمزة الاصفهاني في ذكر فيه أن النابغة الذبياني امتدح عمرو بن المنذر الاصغر بشعره ، إذ قال بعد ذكر الخبر : « والذي يظهر لي أن النابغة لم يدرك عصر هذا المذكور ، فإن المصنِّف ــ الاصفهاني ــ رحمه الله ذكر النابغة في آخر الفصل ، وذكر أنه مدح الايهم بن جبلّة ، وبين الايهم بن جبلّة وعمرو ابن المنذر الاصغر على ما أثبته هو في التاريخ ما يزيد على ثلاثمئة سنة . ومعلوم أن النابغة كان قريباً من دولة الاسلام ، لان حسان بن ثابت عاصره ووفدا معاً على النعمان بن المنذر اللخمي »[١٠٠] وهذا موقف مؤرخ يتحرى الدقة في الخبر ويصححه في ضوء المقارنة بين ما يتوافر لديه من معلومات تاريخية . ومثل هذا تعليقه على خبر أورده المظفر بن الجوزي في كتابه « مرآة الجنان » حول تعداد ما أخذه الملك المسعود الايوبي معه من حمول عند سفره من اليمن ، إذ قال الخزرجي : « إن السامع لا يكاد يصدق بها ، ولهذا تركت ذكرها » وكذلك قوله في خبر لابن الجوزي أيضاً ذكر فيه قتل الملك المسعود لثمانمئة شريف من أولاد الحسنيين في اليمن : « قال علي بن الحسن الخزرجي : « هذا شيء لا يقبله العقل ولا يصدقه النقل ، ولا يوجد في اليمن كله من أعيان الاشراف الحسنيين مئة رجل ، ولاذكر هذا ولا ما يشابهه أحد من علماء التاريخ باليمن . والله أعلم »[١٠١] . ومن هذا اللون تعليقه على خبر منسوب للأسنوي في طبقاته عن نسبة أحد العلماء لقلعة غير معروفة ، إذ قال : « وهذا غلط من الاسنوي والله أعلم »[١٠٢] وحين أنشد الوزيرُ الشاعر ابن دعّاس السلطانَ المظفر قصيدة نونية مطلعها :

ليس في قـــدرة ولا إمكـــان
نيـل ما نلت يـا مليك الـزمـان
هاك شعراً منظماً لم أغر فيه
لا على مصحف ولا ديـــــوان

قـــال المصنف : « أول بيت منهـا لابن الحجـاج البغدادي »[١٠٣] وفي هذا توثيق جميل لنص شعري . وحين تعرّض ابن دعّاس لكتّاب الدرج الذين قدم بهم العماد الاعمش من مصر بقوله :

أهـــدى العمـــاد نحـــونـــا
من مصـــر كتّـــابـــاً غـــرز
تبقـــــروا بقـــــائـــــراً
لكنهـــــا على بقـــــز

علّق الخزرجي : « ولم يكن كما قال وانما كانوا أهل فضل وفواضل »[١٠٤] . ويروي خبراً عمن ذكر أنه : رأى في كهف في جبل مذبح في ناحية صنعاء رجلًا ميتاً عليه سبعة أكفان وتحته نحو من أربعين ثوباً ، وعليه عمامة طويلة طولها خمسة وثلاثون ذراعاً .... وبعد وصفه للرجل ، قال الراوي : طول أصابع يديه ، كل واحدة نحو من شبر ، وطول ساقه ذراع ونصف ، وطول أصابع رجليه ، كل واحدة نحو من كف .... وينهي هذا المتحدث وصفه بقوله : أجمع أهل تلك الناحية على أنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه » وبعده يعقّب المصنِّف : « أما قولهم أنه علي بن أبي طالب ففير صحيح لأن علياً رضي الله عنه قتل في الكوفة وقبره فيها بلا خوف ، ولكنهم أخفوا قبره ، والغالب أن هذا أحد العلماء المتقدمين أو احد ملوك حمير والله سبحانه أعلم »[١٠٥] فالخزرجي ــ إذن ــ لا يرفض مثل هذه الأخبار وما تتضمنه من

www.dorat-ghawas.com

وصف أسطوري لا صلة له برجل سوي الخلقة علياً كان أم ملكاً حميراً أم عالماً . ولكن هل هذا يعني ، أنه كان سيقبل الخبر لو كان قبر الامام علي في مكان الحدث ؟ على أية حال كان للمصنف تعليق على مثل هذه الرواية التي يبدو فيها شكّه واضحاً من خلال ختامه لها .

الخزرجي أديباً :

للخزرجي ديوان شعر لم يُعثر عليه . والذي أورده لنفسه في « العقوداللؤلؤية » وكرره في كتابه « العسجد المسبوك »[١٠٦] من قصائد شعرية ، كان أكثره في المديح والرثاء والوصف . والذي بين أيدينا من شعره يظهره شاعراً ناظماً لا يرقى الى رتبة عليّة في هذا الفن . يقول الحافظ ابن حجر : « واشتغل بالأدب ففاق أقرانه ومدح الأفضل والأشرف ثم الناصر ، وكانوا يقترحون عليه الاشعار في المهمات فيأتي بها على أحسن وجه ، وكانت طريقة شعره الانسجام والسهولة دون تَعاني المعاني التي لهج بها المتأخرون »[١٠٧] والنص المتقدم يكشف عن قدرته في ارتجال الشعر لما يتمتع به من بديهة سريعة ، وعن نوع الشعر الذي يقوله استجابة لرغبة الملوك وطلبهم . وأنه في شعره ينحو منحى الشعراء الفقهاء في الأداء السهل والبعد عن التغريب في الالفاظ والتصعيب في المعاني .

وكانت المناسبات الرسمية والاجتماعية والدينية تستثير شاعريته فينطلق معبراً عن مشاعره تجاه السلاطين مستغلاً تلك المواقف لتأكيد ولائه . من ذلك قصيدته التائية التي قالها سنة ٧٩٣ هـ في حفل ختان ــ تطهير ــ أولاد السلطان الاشرف بحضور عدد من الشعراء ، وقد بدأها بمطلع وصفي يتناغم وجو المناسبة إذ قال[١٠٨] .

هبّ النسيم معنبـــرَ النفحـاتِ
وشدا الحمامُ بـاطيبِ النغماتِ
وتضوّع اليمن الخصيبُ بأسـره
بالطيب من عدنٍ الى عـرفاتِ
وتـألق البرقُ الكليل فاشرقت
أنـوارُه في حنـدس الظلمـاتِ
فرحاً بتطهير الملوك الاكـرميـ
ـن الاعظمين الجلّةِ السادات

ثم يتحول الى مدح الاولاد / الامراء وأبيهم السلطان وأجدادهم ، وذلك أمر لازم في مثل هذه الاحوال ، لان القصيدة ما كانت لتنظم لولا التقرب للسلطان واستغلال المناسبة لمدحه مدحاً تقليدي المعاني ، حرص الشاعر فيه أن لا ينسى معنى من معاني الاشادة والثناء:بأساً ومكارم ورجاحة عقل وسماحة يد .... وبعد تعداد هذه الصفات التي يمكن أن تقال في كل سلطان ، يعود الى وصف أجواء الفرح ومشاهد البهجة التي حاكتها كل مظاهر الحياة وأنساقها النابضة : جواً متلالئاً وأرضاً خضراء سندسية وروضاً خيوط نسيجه السندس والشقائق ، وشجراً يتمايل باغصانه التي علتها الطيور تشدو وتتغنى باليوم السعيد :

فالدوحُ ترقص في غلائل سندس
والجـوُ ينثـرُ لـؤلـؤَ القطـراتِ
والـروضُ معتمُ النباتِ بنـرجس
وشقـــائقٍ تـزري بكـل نبـات
والطيـرُ ذا شـادٍ وهـــذا زامـر
فوق الغصون بأفصح الأصوات

ثم يعود الى مديح السلطان الاشرف خاصة :

الأشرف الملك الذي عمّ الورى
بـالفضل والاحسـان والحسنات

وهكذا قطّع الشاعر أوصال قصيدته ، وكانت الوحدة الموضوعية تتطلب أن يجمع أبيات الوصف معاً ، وكذلك الامر بالنسبة لابيات المديح المتقطعة ، وكان الشاعر أراد أن تكون لكل مديح وممدوح مقدمة وصفية خاصة . ثم يختتم قصيدته ختاماً سهلاً دعا فيه للممدوح بالبقاء السعيد والعز المديد . وتظل القصيدة نثرية النسيج بعيدة عن الجديد في المبنى والمعنى ، وقد مال فيها الشاعر الى التعداد والتسجيع الداخلي كما في قوله :

ذو فطنةٍ ينبيك بعد غد بمـا
سيكون بعد غد بما هـو آتِ
وسمـاحةٍ وفصـاحـة وصبـاحـة
وشجـــاعـة ورجـاحـة وإبـات
ومـــوارد مشهـورةٍ ومشـاهـدٍ
مـــذكـــورةٍ ومكـــارم وصِـلات
وإبـانـةٍ ورصـــانـة وشجـاعـةٍ
وبـــراعـــة وفـراسـة وثبـات

ولا يخلو هذا التعداد من تكلف وإثارة ملل ، فمثل هذه المعاني مكرورة لاحد لامثالها .

www.dorat-ghawas.com

وكان الخزرجي واحداً من المدرسين المرتبين لاقراء القرآن بالقراءات السبع في الجامع المبارك الاشرفي في قرية المملاح ، فاعجبه ما رأى من اشتغال العلماء في هذا الجامع ، كل طائفة بما ندبت له ، فقال قصيدة وصف في مقدمة مناسبة إقبال الزمان واشراقه في ظل السلطان الاشرف الذي قال له ولابائه الملوك ألواناً من المحامد والاعمال الجليلة ، مشيداً بمحتدهم الغساني وكريم أفعالهم قائلًا :(١٠٩)

ضحـك الزمـان بواضح الثغـرِ
مستبشـراً بـالعـزِّ والنصـرِ
في دولـة زادت زبيـد بهـا
شـرفاً على بغـداد بل مصـر
بـالاشرف الملـك الذي ذكـرت
أيـامُه في سـالف العصـر
مَنْ لا شبيـه ولا نظيـر لـه
واسأل ملوك العصر في العصر

ولم يفته أن يرجّح مقام الملوك الغسانيين على حاكمين آخرين هنا وهناك :

ملـك كـريم النبعتين معـاً
من سـرْغسـان ومن فِهْـر
لا شيـرويـه ولابـويـه ولا
زنكي ولا زيـري وسل تـدري

ويطيل في تعداد ممل لاسماء العلماء العاملين معه في هذا الجامع مثنياً على زملائه ثناء حميداً وفيهم مقرىء القرآن وراوية الحديث والخطيب الواعظ ومعلم الصبيان وشيخ الخبر :

وتـرى أبـا العبـاس محتبياً
يـروي حديث الطـاهـر الطهـر
والنـاشـري كـانـه قمـر
متبلّـج ومعيـده القحـري
ومعلم الصبيـان ليس لـه
في البدو مثلٌ لا ولا الحضـر

وحرصه على هذا التعداد قاده في بيتيه :

وعلي المطيّبُ وابنـه معـه
نـاهيـك من طـرِدٍ ومن بحـر
وعلي بن أحمد لا نظيرَ لـه
شيـخُ شيـوخ الجبـر والجـذر

الى عدم الوفاء بحركة الياء وتشديدها في لفظتي « علي » وهذا التعداد يقرب القصيدة من الشعر التعليمي ، فياتي العرض جافاً والاسلوب نثري البناء والمفردات :

وعليُّ من كعلي لا أحـد
يشبهـه في المعـروف والنكـر
وكـذاك داود ويـوسفـه
فـاهيك من بحـر ومن بـرّ
وكـذا أبو الفتح الرضى عمرُ
وعليُّـه ورسـول ذو القـدر

فمفردات مثل : كذاك ، ناهيك ، كذا : تثقل موسيقى الابيات وتربك شعرية النسيج . وقد اضطر الى تسكين الهاء الاولى في الفعل « يشبهْه ، في البيت الثاني والفعل مرفوع لا جازم له .

وينهي قصيدته ــ وهي من سبعة وأربعين بيتاً ــ نهاية دعائية يعلن فيها حبة وعبوديته للممدوح :

أنـا عبـدك القنّ المحبُّ ولا
أنسى الـذي أوليت من بـرّ

وليس هناك ما يدعو الى مثل هذا التصاغر ، وسبق له في القصيدة التائية التي مرت بنا أن دعا نفسه بخادم السلطان . وآخر بيت في هذه القصيدة ينم عن تعاطي الخزرجي لشعر الالغاز الذي شاع في عصره ، إذ قال متكلفاً ، وهو يدعو للاشرف بطول العمر :

عمْرٌ مضى من خمسه سدسا
سبـع وثمن السبـع من عشـر

وهذه القصيدة لا تخلو من بعض الوقفات المضيئة ولا سيما قوله :

يـامن تتـوّج بـالمفـاخـر لا
بـالـدرّ والياقـوت والشـذر
وحمى ثغـور المسلمين معـاً
بـالبيض والعسّـالـة السمـر
وبعـزمـة جَفنيّةٍ صـدمت
بـوميضهـا بـرقـوقَ في مصـر
والنـاس في أمن وفي دعـة
والذيب يرعى الشاء في القفر
والعلم عـزّ وعـزّ حـاملـه
فتـراه بعـد الطيّ في نشـر

www.dorat-ghawas.com

فهو يمدح السلطان بالمحامد النفسية ــ المعنوية التي تطمئن إليها نفوس الممدوحين ، لا بالقيم الشكلية الزائلة التي تعد من المعاني التي كانت تقال في مديح ملوك العجم . كما أثنى عليه بحماية المسلمين ومكامن الخطر في الثغور . وجميل منه توظيف الحيوان لبيان حياة الطمانينة التي يعيشها الناس ، إذ أمن الضعيف بطش القوي كما أمنت الشاة أن ترعى مع الذئب ، فضلًا عن طلبه للطباق لتقوية المعنى كما في لفظتي الطي والنشر ، وهو لون بديعي أفاد منه في نصوص أخرى .

وكان الرثاء ميداناً واسعاً في شعره ، يدلل فيه على وفائه للأسرة الرسولية وعمق صلته بها ، وهو يجمع الى هذا الرثاء مديحاً في هذه الاسرة ، وخاصة السلطان القادم الجديد . من ذلك رثاؤه للسلطان الافضل ، ويدخل الخزرجي إلى غايته بمطلع يتوافق والغرض الذي نظمت من أجله القصيدة ــ وهي ثلاثة وخمسين بيتاً . إذ يقول :[١١٠]

بكت الخــلافةُ والمقـام الاعظمُ
والملـك والـدين الحنيف القيّمُ
والشمس والقمر المنير كــلاهما
والأرض تبكي والسماء والانجم
والبيتُ والحــرم الشريف بمكـة
والحِجرُ والحجر اليماني الاسحم
ومــدارس العلم الشريف وأهلـه
والمسلمــون فصيحُهم والاعجم

وصاحبنا بارع في هذا التعداد لكل المحزونين بهذا المصاب ، وهم الدنيا كلّها سماء وأرضاً ، وهو في كل ذلك مبالغ في هذا التابين ، وقد دار كثيراً ولكنه لم يقع على معنى جميل أو تصوير لعاطفة صادقة الجزع . ويتحول لتابين الفقيد منوهاً بشجاعته وحمايته للديار وإذلاله للملوك الآخرين ، مشيداً بآله الميامين ، محوّلًا جانباً من هذا الرثاء الى ما يقرب من الشعر التعليمي التاريخي من حيث تعداد أسماء الملوك والموازنة بينهم وبين رموز تاريخية مشهورة . متخذاً من أساليب الاستفهام والنداء والدعاء معارض للحديث عن فارس الكتائب والليث الهصور ، متحولًا لاعلاء مقام السلطان الجديد : الحازم الجواد الهزبر ، داعياً له بالسلامة والسعادة . وحين يبحث الدارس عن ألوان الصنعة الفنية كالخيال المصوّر والتشبيه المبدع والاستعارة الدقيقة ... فانه لا يظفر من ذلك بشيء ، فالشاعر يطيل في غير طائل . إذ لا يستطيع فكاكاً من هذه المعاني الموروثة / المطروقة في الرثاء . وحسبنا فيه قوله في هذه القصيدة : « جعلتها سداداً من عوز »[١١١] .

وتموت زوجة السلطان الأشرف سنة ٧٩٦ هـ ، ويكون لموتها صدىً عميق ومؤثر في نفس الشاعر ووجدانه ، ويقول فيها مرثية رائقة ، ربما كانت من خير ما قاله الخزرجي ، ففيها اللوعة والاسى وصدق اللهجة والتابين وجودة العبارة . ومنذ البدء نقرأ الكلمة البليغة والحكمة الرصينة والتصبّر الجميل والايمان بالقدر حلوه ومرّه :[١١٢]

تعــزَّ ولا تجزعْ لنـائبـة الـدهـرِ
وقابل عظيم الرزء بالحمد والصبرِ
ولا تكثرث إن بان خطب فقد قضى
بما قد قضى في الخلق ذو الخلق والامر
بكل امريء كاسٌ من الموت مترعٌ
ولكننا نسري الى أجل يسري
فحمداً على حلو القضاء ومرّه
وصبراً فإن الصبر من شيمة الحرّ
على ذا مضى الناس اجتماعٌ وفرقة
وكلٌّ بذا يدري وإن كان لا يدري

وبعد هذا المطلع الخطابي الحِكمي يتحول للتذكير بعِبر الزمان وما يجره على الامم ، مصوّراً عنف معاناته وعميق تاثره :

فيا ليلةً مــا كان أوحشَ بتّهـا
وقد كنت ذا باسٍ شديد وذا صبرِ
فحسبيَ من يوم تقضّى وليلة
وحسبيَ من صدٍّ صُددت ومن هجر
لقد طال ليلي بعد ليلتك التي
تمنّيتُ فيها أنها ليلة الحشر
فان كنتِ قد غُيبت عني فلم يغب
خيالُك عن عيني وذكرُك في فكري
وما أنتِ إلا الشطر مني حقيقة
وما شطر شيء بالغنيّ عن الشطر
وما راقني من بعد وجهك رائق
ولا شاقني ما في العيون من السحر
سلام على ذاك الجبين ورحمة
على شخصك المدفون في تلك القبر

ويكاد يقترب هنا من حدّ الرثاء التي تتراءى فيه لقطات الجمال الانثوي في تحفظ واضح . ويثني عليها بالتقى والورع في

www.dorat-ghawas.com

دعاء رقيق ، مختتماً قصيدته ــ كما بدأ ــ مسلماً بأمر الله الذي لا غالب له :

ولكنّ أمــر الله للنـاس غـالب
وكلُّهمُ تحت الارادة والقهـــر

والبناء الفني والمعنوي متماسك الاركان ــ في هذه القصيدة ــ متلاحم التراكيب ومتسلسل الافكار ، بعيد عن التكلف والغلو المفرط في مثل هذا المقام . وقد أفاد من الطباق لتوضيح معانيه والمقابلة بين المضادات منها كما في ، تعزّ ولا تجزع ، حلو القضاء ومرّه ، اجتماع وفرقة ، يدري ولا يدري . وهناك المقابلات المسجوعة في بدايات الاشطر ، وهو ما يكسب الابيات إيقاعاً ونغماً كما في قوله في البيت المتقدم وأوله : وما راقني ..... وفي البيت بعده :

ولم يلهني قرب الحبيب الذي دنا
ولم يشفني طيف الخيـال الذي يسـري

ويكثر التكرار في مطالع القصيدة ، ليعلي الشاعر نبرة الاسى والتفجع ، وليعظم من خلالها ما يسوقه من معانٍ ليستعين به على تفصيل هذه المعاني ، وهذا ما نجده في تكرار (كم) الخبرية في أول الابيات من ٦ ــ ٩ ، وكأنه يريد بها تكثيف التاسي والسلوان بكثرة الماضين من ملوك وغير ملوك على امتداد القرون ، وتكرار ما النافية في الأبيات ٢٢ ــ ٢٧ ــ ٢٩ وتكرار لو ــ الامتناع لامتناع ــ ليتحدث عن استحالة افتداء الاعزاء من الاموات ، وقد يتخذ من أسلوب الدعاء مدخلاً لتنويع معانيه وطرائف عرضه ، كما في قوله :

ولا زال عفو الله يسقي ضريحها
بمثعنجرٍ يغدو ومسحنفرٍ يسري
وسقيـاً لايام تقضّت عهـودهـا
ورعياً لعصر قد تقضّى من العصر

وكان جديراً بالشاعر أن لا يثقل هذا الرثاء المتدفق بالفاظ ثقيلة الصوت مثل : مثعنجر ومسحنفر وهو يدعو بالسقيا بمطر منهمر غزير .

أما قصيدته المسماة بـ « الدامغة » التي مرت الاشارة إليها ، فربما كانت طويلة البناء والنَفَس ، حادة الاسلوب ، ذات منحى جدلي مع من يخالفونه في أمر من أمور الحياة ، وإلا لما سميت بهذا الاسم . وربما كانت القصيدة الدالية ٢/٢٣٢ التي ذكرها بعد حديثه عن دخول السلطان الاشرف زبيد في عسكره المنتصر ، من نظمه ، ولكنه ذكرها بعد عبارة يُكثر من ترادها (ولسان الحال ينشد) فالكثير من مفردات هذه القصيدة ومعانيها ونسيجها قريبة من معجمه الشعري وأفكاره وصياغاته وخاصة ما ورد في الابيات ١٦ ــ ١٨ ــ ٢١ ــ ٢٣ ــ ٢٥ وربما أراد بها تعظيم السلطان المنتصر .

واذا كان الخزرجي الاديب كثير الرواية للنصوص الشعرية وغير الشعرية ليوثق حديثه التاريخي ويزيده شفافية ، فإن ذلك يعني مدى إفادة مشاعرنا من محفوظه التراثي من حيث ألوانه وموضوعاته ومعانيه ، وانعكاس ذلك على نسيجه الشعري . وكان القرآن الكريم من أبرز مرجعياته في شعره ونثره وقد تجلت مثل هذه الافادة في قوله راثياً السلطان الافضل ، وقد مرت بنا القصيدة :

حكم على كلّ البرية لم يكن
مستـــأخـــر فيهم ولا مستقـــدم

فهو ينظر في هذا المعنى الى قوله تعالى في سورة النحل ، الآية ٦١ « .... فإذا جاء أجلهم لا يستأخـرون ساعـة ولا يستقدمون » . ومن هذا اللون قوله في القصيدة نفسها :

وأطـــاعة الـدهر العصيّ وأهلـه
طـوعاً وكـرهاً كـافر أو مسلم

وهو تصرّف ذكي واضح نهل فيه من الآية ٨٣ في سورة آل عمران : « .... وله يسلم من في السموات والارض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون » . ويمدح السلطان الاشرف في تائيته التي تقدمت الاشارة إليها فيقول :

يـــا ربُّ مهّـدْ للممهّـد ملكـه
وانصـــره واحرسـه من الآفـات
وافتح له فتحـــاً مبيناً واكفـه
صـــرف الردى وتغيّـر الحـالات

وقد لا نحتاج هنا لبيان مدى اقتباسه للآية الأولى في سورة الفتح : « إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً » وتوظيفه لمعنى الآية الثالثة فيها « وينصرك الله نصراً عزيزاً » في شطره الثاني في البيت الأول .

وكان النابغة الذبياني واحداً من الشعراء الذين استعان بشعرهم في عرضه التاريخي ، فليس غريباً أن يلتقط بعض معانيه ويكثّف صورته حين يمدح السلطان الاشرف :

يغزو فيغزو الطيرُ فوق جيوشه
والـوحشُ مغه تسيـر في الجنبات

www.dorat-ghawas.com

وكان النابغة قد مدح عمرو بن الحارث الغساني فقال :

إذا ما غزوا بالجيش حلّق فوقهم
عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائب

وفي هذه القصيدة قال كذلك :

وأخوا الفضائل والفواضل والنهى
والمكرمات الغرّ والجفنات

وواضح أن شاعرنا يفيد من معجم حسان بن ثابت الشعري حين قال مفتخراً :

لنا الجفنات الغرّ يلمعن في الضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولأن الشاعر أكثر في المديح ، فقد تكررت معانيه في هذه القصيدة أو تلك . فقوله في الاشرف :

ملك له تعنو القبائل طاعة
ولـه يدين الكسروي العاتي

سبق أن صاغه في رثاء السلطان الافضل قائلاً :

ملك له عنت الملوك وأذعنت
قهراً ودان الاغلب المتعظّمُ

واعجابه بهذا المعنى ، أو نضوب جديده المعنوي كان وراء تكراره ثالثة في مدح الاشرف كذلك إذ قال :

هذا الذي تعنو الملوك له
فاسأل ملوك العصر في العصر

وإذ يرثي السلطان الافضل يقول داعياً له بالسقيا :

في كل يوم بكرة وعشيّة
ما غرّدت ورقٌ ولاحت أنجم

يكرر الشطر الاول كاملاً في دعائه لدوام عزّ السلطان الاشرف :

في كل يوم بكرة وعشية
قبل الصلاة وبعد كل صلاة

ومن هذا التكرار الذي صار علامة ضعف في العطاء المعنوي قوله في رثاء السلطان الافضل :

وأخو الفضائل والفواضل والذي
في كلّ كفّ منه بحرٌ خضرمُ

إذ عاد إليه في مديح الأشرف (وقد مر بنا هذا البيت) فقال :

وأخو الفضائل والفواضل والنهى
والمكرمات الغرّ والجفنات

وحديث التكرار في معانيه يقودنا للاشارة الى ان الخزرجي كرّر قوافيه في القصيدة الواحدة ، وإن جهد في الابتعاد الى حدّما عن السقوط في دائرة الايطاء ، ففي قصيدته الميمية التي وقفنا عندها كانت قافية البيت العاشر « الوابل ... المشجَمُ » وفي البيت ٣٤ « الفيث الهتون المشجمُ » وفي البيت ٣٧ « لا يثجم » وقافية البيت ١٤ « مسلمُ » وكذلك هي في البيت ٥١ . وكرر قافية البيتين ٢ و ٣٨ ، والبيتين ٧ و ٢٩ . والبيتين ١٣ و ٥٠ وغيرها . ومثل هذا التكرار نجده في قصيدتيه الرائيتين اللتين وقفنا عندهما .

وتقود الرغبة في تفصيل معانيه والمقابلة بينها إلى تكرار (ذا) اسم الاشارة و (ذا) بمعنى صاحب فمن الأولى قوله في قصيدة الرثاء الميمية :

والصعب ذو القرنين والهذاد والـ
ـصبّاح ذا يبكي وذا يترحم

ومن الثانية قوله في قصيدة الرثاء الرائية :

فيا ليلة ما كان أوحش بثها
وقد كنت ذا بأس شديد وذا صبر

ومثل هذا : البيت ٤٩ في القصيدة الرائية ، والبيّان ١٣ ــ ٢٤ في القصيدة التائية . وينظر البيت الاول ٢ / ١٧٢ ونذكر في هذا السياق كثرة تكراره لما ولا النافية ولا النافية للجنس مستعيناً بواو العطف ، تنظر أبياته في قصيدة الرثاء الميمية ١٦ ــ ٣٥ ــ ٣٦ ــ ٤٩ ــ ٥٠ ومدحته الرائية ٤ ــ ٧ ، ومرثيته الميمية البيتان ٢٣ ــ ٢٤ .

ولأنه كاتب مؤرخ ، فقد شاعت في شعره مفردات نثرية كان يستكمل بها معانيه أو أوزان أبياته مثل : لا شك ، معاً ، قاطبة ، كلا ، كلهم ، جميعهم ، يقول في مرثيته الرائية : ٢٣ ــ ٢٤ .

ولا شك عندي ثم لا شك إنما
تنقلت من قصير منيف الى قصر

ويقول في قصيدة المديح الرائية :

وحمى ثغور المسلمين معاً
بالبيض والعسّالة السمر

وتنظر في هذه القصيدة الابيات : ٦ ــ ٢٢ ــ ٢٣ ــ ٢٥ ــ ٢٦ ــ ٣٢ وميميته في الرثاء البيت ٢

وقد تتهافت عنده الصورة الشعرية لسذاجة اللون الاستعاري ، كما في رثائيته الميمية :

www.dorat-ghawas.com

فتغيّـــرَ القمـرُ المنيـر لفقـده

والشمس كـاسفة تنـوح وتلطم

فالفعلان الاخيران لا يرسمان الا منظراً مشوشاً لا يسر الناظرين .

وقد تقدم القول في اكثاره من الطباق وطلبه للجناس الناقص لتقوية المعنى وتزيين الشكل :

يـــاأيها الجبـل الاشم المرتقى

يا أيها البحر الخضم الخضرم

وقد يغالي في المديح معرفاً بالممدوح وآبائه وأجداده فيما يسمى عند البديعين بـ « الاطراد » كقوله :

الاشرفُ بن الافضل بن علي بن دا

ود بن يـــوسف قسور الغـابات

وللخزرجي مجموع رسائل مفقود ، إذ كان ناظماً ناثراً ، وهذا يعني أن الدارس لا يستطيع أن يكوّن صورة واضحة عنه ناثراً . ولكن الذي بين أيدينا من أقواله يمكننا من رصد نثره وإبراز ما يتميز به من قيم تعبيرية جيدة تحسب له ، أو ضعيفة مرتبكة تحسب عليه . وكان السجع أسلوباً أثيراً لديه ، وهو كثير في كلامه الوصفي للأعلام والأحداث ، وفي ما يؤمّه من ديباجة . من ذلك قوله في أول رسالة إخوانية :[113] « أمتع الله بطلعتك المضيّةِ وشمائلك المرضيةِ ، وحُزت خيراً ووفيت شرّاً ... » وهي طويلة من هذا النمط . وله يصف تقليد السلطان المظفر لابنه الملك الأشرف ولاية العهد فيقول : « اختصه والده بالملك العقيم ، ومكّنه أذمّة الأمر القويم وخرج التقليد الكريم ، بمشهد من الملوك العظماء والجحاجح الكرماء ، ناطقاً بفصل الخطاب وإنارة التحقيق والصواب ، بما يربى على الروض غبّ السحاب ، ويزري بفريد الدرّ في علق الكعاب ، قائلًا بعد الحمد والثناء ، والصلاة على رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ والدعاء »[114] .

وقد نحا بالجملة نحو الإطالة ، والتزم السجعة الواحدة في ثلاث جمل أو أربع ليبرز الايقاع الصوتي في الآذان ، ويستكمل الصورة الوصفية لكل معنىً من معانيه . وقد تقصر عنده الجملة حين يركزّ وصفه للاشخاص دون التزام ثابت للسجع كما في قوله : « وكان الأمير شمس الدين عاقلًا كاملًا ، صالحاً تقيّاً ، له رأي ورئاسة ونظر وسياسة »[115] والمقطعان الاخيران يجمعان بين التوازن والسجع . وقد يجتمع في صياغاته سجع غير ملتزم ، وبناء متناغم المخارج ، كما في وصفه السلطان عمر : « وكان السلطان نور الدين ملكاً كريماً ، حاذقاً حليماً ، حسن السياسة ، سريع النهضة عند الحادثة ، وكان شريف النفس عالي الهمة ، فارساً شجاعاً مقداماً مِحراباً »[116] ونتبين سلاسة العبارة هذه ، ووضوح المعنى في نص آخر يصف فيه السلطان عمر وما تميّز به « من حسن السيرة وصلاح السريرة ومحبة الناس له ، وانقيادهم لامره طوعاً وكرهاً . وكان مع هذا حازماً عـازماً سـريع النهضة ... »[117] وواضح أن الخزرجي يكرر مفرداته وطريقة بناء جملته قصيرة متناغمة ، ولكنه يحرص على الاداء السهل وتخيّر المبـاني والمعاني على الـرغم من أن المؤرخين ــ وهـو أحدهم ــ تنصبّ عنايتهم على الناحية الموضوعية في الدرجة الأولى . وفي هذا النص ما يدلنا على أن القرآن الكريم كان من أبرز مناهله ومرجعياته مفيداً من مفرداته وصياغاته لتعميق معانيه وتوضيحها ، وذلك ما تشير اليه جملته « وانقيادهم لامره طوعاً وكرهاً » فهو فيها ليس بعيداً عن قوله تعالى في الآية ٨٣ من سورة آل عمران « ... وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً ... » . ونجد مثل هذه الافادة من النصوص القرآنية في قوله يصف رجلًا : « كان يسرق بالليل وينهب بالنهار ويأخذ كل سفينة غصباً »[118] فهو يقتبس من قوله تعالى في سورة الكهف ، الآية ٧٩ : « وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة غصباً » وهكذا يتداخل القول القرآني في صياغات الخزرجي النثرية دونما انقطاع أو تعثر ، وفي هذا مؤشر على توافق حسه الديني وبنائه المعنوي ، انظر إلى قوله يصف قوماً نتنت روائحهم : « فهلك كثير منهم في مدة يسيرة وألقى الله بينهم العداوة والبغضاء »[119] وآخر النص توظيف معنوي لما ورد في الآية ٦٤ من سورة المائدة « ... وألقينا بينهم العداوة والبغضاء ... » وقريب من هذه الخصيصة الأسلوبية حرصه على التنسيق المعنوي والتداخل البنائي بين عبارته النثرية وشواهده الشعرية ، في صياغة متلاحمة قلما يشعر القارىء بانفصام بين هذين الضربين من الكلام ، من ذلك وصفه مسير السلطان المجاهد محاطاً بعسكره من تعز الى زبيد : « ودخل زبيد يوم الثلاثاء حادي عشر شوال .... »[120] .

في جحفل ستر العيون غباره

فكـــانمـــا تبصـــرن بـــالآذان

ومثل هذا حديثه عن أحد القادة :[121] « وطلب لهم من السلطان ذمة فانمّ عليهم ذمة شاملة :

وحلّفهم بـــــردُ البيض عنهم

وهـــامتهم لهم معـــه معـــار

وتتضح لنا إفادته من التراث القديم في حديثه عن تولي السلطان المؤيد للحكم :[122] « فاتفقت آراء .... أن يسوس الدولة

www.dorat-ghawas.com

نعمانها ، وأن يتسلم الحكمة لقمانها ... » وهو إنما يشير الى النعمان ملك الحيرة والى لقمان الحكيم ، في صياغة تعمق المعنى وتكثّف الثناء والبناء من خلال الذكر الحميد لمثل هذه الرموز التاريخية حكماً وحكمة .

ولكن رتابة السرد وتشابه الاحداث وما يعتور المؤرّخ أحياناً من تعب ونصب ، أدت إلى عدم التريث في اختيار المفردات أحياناً ، أو تنسيق الكلام التنسيق المطلوب . ولذلك دخل بعض كتاباته شيء من ارتباك وضعف في بناء الجملة كما في قوله : « فلما صار في مكة نقل الشريف عجلان أن السلطان يريد يولي أخاه البلاد ، ويترك معه عسكراً من اليمن ، وأنه يريد يلزمك ويسير بك ..... »[١٢٣] ولو أعاد النظر في مثل هذه الصياغة لوجد أن الاولى أن يقول : يريد أن يولي ... ويريد أن يلزمك ... وحذف أن في مثل هذه الحالات يقرّب البناء من الاستعمال العامي ، فضلًا عن استعماله للفعل « لزم » بمعنى « قبض عليه » وهو استعمال قد لا يؤيده المعجم العربي . وقد يقترب من التعبير الشعبي كما في قوله : وكان الأمير ... متغيّر الخاطر من عمّه .... »[١٢٤] وقوله : « فأمر السلطان على الوزير أن يأمر كتّاب الدرج ... »[١٢٥] وحرف الجر « على » زائد ، لان الفعل أمر يتعدى بنفسه ، قال دريد بن الصمة :[١٢٦] .

أمـرتهم أمري بمنعـرج اللـوى
فلم يستبينوا النصح الاضحى الغد

وانظر لهذه الاستعمالات الوصفية : انحلّت عزائمهم[١٢٧] » « فتشوّش السلطان »[١٢٨] « وتزوج السلطان على كريمته »[١٢٩] وعلى هذا زائدة .. « استقر السلطان في بلاده ولبست البلاد وعملت الفرحات سبعة أيام »[١٣٠] وربما كانت جملة « لبست البلاد » بحاجة الى فضله تكمل سياق المعنى . « واحتز من رؤوس القتلى في هذه الوقعة أكثر من مئة رأس ، وطلعت الرؤوس الى تعز »[١٣١] والجملة الاخيرة يتعثر معناها بانكسار لفظها ، ولعله يريد أرسلت أو بعثت وما يشبه هذا . ويوهم هذا الارتباك في صياغة الجمل بوقوع أخطاء ، كما في قوله : « ونهبوا قرية عقافة وسبوا حريمها وباعوهم كما يباع الرقيق » وربما كان الأولى أن يقول « باعوهن »[١٣٢] ومن هذا قوله : « وكان جملة من قتل من أهل تعز نحو من اثني عشر رجلًا »[١٣٣] .

ونصب لفظه « نحو » هو الاصح خبراً لكان . وقريب من هذا : أغار الى بدل على ، ومُرجلين بدل راجلين ... وكثرت في لغته الكتابية المفردات الاعجمية التي شاع استعمالها في عصره سواء ما يتصل منها بالالقاب والشؤون الرسمية والادارية أم الشؤون الاجتماعية من ذلك : الطواشي ، الادر ، الطبر دارية ، المدارية ، الشربخانات ، الحاسكية ، الاصباهية ....[١٣٤] ومن أسماء العطور والاطعمة والصحون ، القرطم ، الشند . الزناجين ، السوبيا ، الفُقاع ، الكاذي والفانيد وغيرها ..[١٣٥] .

وكثيراً ما يعبّر الخزرجي عن تذوقه لقصائد أو مقطوعات الشعراء الذين يروي لهم أو يستشهد بشعرهم ، ويكشف عن استحسانه لها ، بأقوال تتقارب بدلالاتها ومفرداتها ، وهو في هذا يصدر عن ذوق أديب مؤرّخ ، لم تتأصل فيه القدرة على بيان أوجه الفن في النص ، ولعله لم يكن يمتلك الأدوات المعيارية التي تمكنه من ذلك ، فضلًا عن أن الميدان ميدان تاريخ وليس مجال أدب ونقد . ولذلك كان يصدر روايته للنصوص الشعرية أو يختمها بعبارات عامة الدلالة ومفردات تتكرر هنا وهناك ، وذلك يرجع كذلك الى كثرة الشعراء الذين روى لهم في ثنايا كتابه ، ولتقارب المستويات الشعرية بشكل عام وخاصة الشعراء الفقهاء منهم . ومن أقواله في هذه السياق : « قصيدة بديعة الاستهلال » قصيدة بديعة الاستهلال بارزة (نادرة) في قالب الكمال » وقد يعقب على القصيدة كلها قائلًا : « قصيدة بديعة » « قصيرة طنانة من مختارات شعره » قصيدة طنانة من عيون شعره » وربما قال : « له شعر مستحسن ، كان يقول (الشاعر) شعراً حسناً على طريقة الفقهاء »[١٣٦] وقد سبقه الى هذا اللون من التعقيب النقدي بمثل هذه الصياغات الموجزة الدالة كثير من العلماء المؤلفين ومنهم أبو منصور الثعالبي في اليتيمة ولباب الآداب وغرر البلاغة . ويطيل الخزرجي الوقوف عند الشعراء الكبار فيقول : « شعره كثير وديوانه مجلد ضخم والغالب عليه الجزالة » وقد يقوّم الشاعر قائلًا : « كان ابن حمير شاعراً فصيحاً جيد القريحة حسن البديهة » أو « كان شاعراً فصيحاً كريماً » « كان يغلب عليه فن الأدب ويقول شعراً حسناً » « كان شاعراً فصيحاً بليغاً مدّاحاً هجّاء حسن السبك جيد المعاني من أفصح الشعراء المجوّدين »[١٣٧] ولعل هذا النص من أو في نصوصه النقدية شمولًا ، قاله في الأديب البارع منصور بن عيسى بن سحبان (٧٢٥) . فقد تناول فيه الإجادة في الموضوعات الشعرية وبناء القصيدة وفصاحة المفردات واستحسان الافكار والمعاني .

وقد يعلق تعليقاً تحميدياً على بعض النصوص النثرية ، كان يقول في نص تقليد بأنه : « فصل الخطاب ... يزري بفريد الدر في عنق الكعاب » ويمتدح أحد الاعلام بأنه « خطيباً مصقعاً »[١٣٨] .

وصفوة القول : أن المصنّف حلّى جيد رواياته الشعرية والنثرية بتعليقات لا تخلو من تعميم ، ولكنها تكشف عن مؤرخ

www.dorat-ghawas.com

متانب متنوق » أوقفه منهجه التاريخي عند الحدود التي توحي بانه حاول تاديب الرواية التاريخية ، وليس ذلك بغريب على من « اشتغل بالادب ولهج بالتاريخ »[١٢٦] .

تصحيح الكتاب واخراجه

من يقرأ مقدمة المصحح الاول الشيخ محمد بسيوني عسل ــ رحمه الله ــ يجد ما يأتي :

ــ أن الطبعة الاولى للكتاب اعتمدت على نسخة فوتوغرافية للنسخة الاصلية الوحيدة التي كانت ملك معتمد خان عالمكبري ، ثم انتقلت منه الى قمر الدين خان أحد وزراء محمد شاه ثم أهداها ورن هيستجز الى دار كتب ديوان الهند بلندن . وأن المصحح لم يقابل النسخة الاصلية بالمصادر القديمة لانه ــ كما يقول ــ لم يحصل على مثل هذه المصادر .

ــ أنه طبع المحو والخفي كما هو في النسخة الاصلية .

ــ أنه أقام أوزان عدد عظيم من الابيات الشعرية المكسورة مع المحافظة على المعنى الذي قصد إليه القائل قدر الاستطاعة .

ــ أن المصحح وضع فهارس علمية قيمة للاعلام والاماكن والقبائل والفرق والحيوانات والأيام وللكتب والقصائد التي وردت في الكتاب ، وهو عمل طيّب غني الفائدة .

أما مقدمة المصحح الثاني الاستاذ محمد علي الاكوع ــ رحمه الله ــ الذي صدرت طبعته الثانية للكتاب سنة ١٩٨٣ م فنجد فيها :

ـ الإشارة الى ما ذكره المصحح الأول عن الصعوبات التي واجهها في طبع الكتاب بما فيه من بياض وفراغ ، (ومن تصحيف وتحريف في الاصل) والعبارة ما بين القوسين لم يقلها المصحح الاول في مقدمته ، وانما ذكر أنه طبع الخفي كما هو ، وقد لا يكون في هذا الخفي تصحيف أو تحريف .

ــ الاعتذار للمصحح الأول لقلة معلوماته وفقدانه المراجع وأنه ليس بخبير عن رجالات بل الكتاب (اليمن) وأسماء بقاعه وبلدانه .

ــ أن ما قامت بنشره وطبعه وزارة الاعلام من كتب التراث اليمني كان على علاته ، وبالتصوير على عواهنه بدون مراجعة على أصوله وتوثيقها وتصحيح ذلك ، ولا بوضع مقدمة ولا ترجمة للمؤلف (المقدمة ٥ ــ ٧) .

ــ أن مركز الدراسات والبحوث اليمني التمس منه مراجعة وتصحيح الكتاب (العقود اللؤلؤية) ليعود طبعه من جديد وبثوب قشيب .

ــ أن المصحح ــ كما يقول ــ قام بتصحيح الكتاب بجزأيه من فاتحته الى خاتمته ، كلمة كلمة وسطراً سطراً وصفحة صفحة ، وجلى عنه المبهمات وغطى ما فيه من هفوات ، وملأ ما فيه من فراغ ، وبعثه حياً سوياً ، وقدمه للقاريء كاسمه منظّماً منضّداً ، منقحاً مهذباً في سمطه الدرّي الوضّاء .

ونحن نحمد للمصحح الثاني الاول جهده الرائد في بعث هذا الكتاب مبكراً عام ١٩١١ م ، ونثني عاطر الثناء لما قدمه المصحح الثاني للتراث اليمني من خدمة جليلة في مجموع في مجموع ما أصدره من كتب هذا التراث ، ومنها كتاب « العقود » الذي سعى لاخراجه بحلّة جديدة ، فقابل مادته ببعض المصادر وأشار بعض الاشارات النافعة في حواشيه .

ملاحظات واستدراكات على التصحيح : وهي كثيرة ومتنوعة أخلّت بالكتاب ، ولعلها تنفع من يتصدى لهذا الكتاب مرة ثالثة محققاً تحقيقاً علمياً كاملاً ، وليس تصحيحاً فحسب ، كما ثبّت على غلاف الطبعة الثانية ، وأبرزها :

ــ جاءت ترجمة المؤلف الخزرجي موجزة غاية الايجاز (بحدود صفحتين) وهذا الايجاز لا يقدم صورة واضحة عن حياة المؤلف كما يجب أن يعرفها القاريء . في حين نجد المصحح يفضل في تراجمه للآخرين ومنهم بهاء الدين الجندي حين حقق الاكوع كتابه « السلوك » وابن الديبع حين حقق كتابه « قرة العيون » كذلك . علماً أن الطبعة الاولى خلت من التعريف بالمصنّف .

ــ لم يفصل القول في كتب الخزرجي كافة ، وخاصة ما ذكره عنها صاحب الضوء اللامع والزركلي في « أعلامه » ومقدمة وزارة الإعلام والثقافة لكتاب « العسجد المسبوك » الذي يحتفظ المصحح بصور له في خزانته الخاصة . (المقدمة ١/ ١٠) .

ــ لم يعرّف باسماء الاعلام والاماكن التعريف المطلوب الوافي ، فما ذكره في حواشي الجزأين لا يزيد عن عشرة تعريفات ، وفي الكتاب الكثير الكثير مما هو بحاجة لمثل هذا التعريف . وهو بذلك لم يتلاف النقص الذي أخذه على الاصدارات الاخرى لوزارة الاعلام اليمنية .

ــ إن مقابلة « العقود » بالمصادر اليمنية الاخرى ليست وافية ، حقاً أنه رجع الى « العسجد المسبوك » في حدود سبعين مرة ، ولكن الذي تركه دون مقابلة أكثر بكثير مما هو بحاجة لمثل هذه المقابلة ، وخاصة المواضع التي تساعد على إخراج الكتاب منضداً منقحاً وضاء كما أشار الى ذلك في مقدمته . ولديّ جدول يضم ما لايقل عن أربعين نصاً شعرياً ــ فقط ــ بين قصائد

www.dorat-ghawas.com

ومقطوعات مروية في العسجد كانت بحاجة الى مقابلة لما بينها من اختلافات ولما تضفيه من تصحيح لبعض الروايات في العقود مما يحتاج الى تعديل وتوضيح ولما بينهما من زيادة ونقصان ، وهذا يعني إن اشارته في الحواشي عن المقابلة بالعسجد ناقصة جداً .[١٤٠]

ــ ان بعض هذه المقابلات لم تتسم بالدقة ، من ذلك أنه يصحح ما يبدو أنه غير واضح أو ملائم للمعنى عازياً ذلك في حواشيه إليه . وإذا كان حقاً قد قابل بالعسجد فان تلك المقابلة تغنيه عن الاجتهاد . من ذلك تصحيحه في حاشية ٤٤/١ ، فاللفظة المصححة موجودة في العسجد ١٨٦ . وكذلك ما أورده في الحاشيتين ١ ــ ٣ من ٤٥/١ فإن الرواية الصحيحة في العسجد ١٨٨ . وأما تصحيحه في الحاشية ٣ في الصفحة نفسها فخطأ ، وصوابه في العسجد « حشوناها » بدل « غشتنا » . وفي ٢٥١/١ السطر الثالث من الاخير لفظة « بارزة » وهي في العسجد ٢٨١ « نادرة » وهذه أنق معنى . وجاء تصحيحه في حاشية ٩٥/١ نقلاً عن العسجد ٢١٨ غير دقيق ، فالصحيح « فساروا بهم من يومهم ذلك فلما .... » ويقابل في ١٠٧/١ بالعسجد ٢٢٥ مقابلة ناقصة وغير دقيقة . فالبيت في العقود :

صعدت بنا أعمال صعدة صنّحاً
تبارى كامثال الشموس تهتّما

وهو في العسجد :

صعدن بنا أعمال صعدة سحّناً
تبارى كامثال السراحين سهّما

فضلاً عن قوله في الحاشية : في العسجد كمثل ، وهي كامثال كما تقدم البيت .

وفي ١٢٤/١ يروي البيت هكذا :

مقام يحقّ لذي الكبريا
ء أن يبذله بالخضوع

وفي الحاشية : « هكذا في الاصل وهو مختل الوزن . ولم يكن موجوداً في العسجد » وحين نعود الى العسجد ٢٣٨ نجد البيت وروايته هكذا ، دون اختلال (وهو من بحر المتقارب) .

وقام يحقّ لذي الكبرياء
به أن يبذله بالخضوع

فهل رجع المصحح الى العسجد حقاً ؟ والذي لم يكن موجوداً في العسجد هو البيت الثاني من هذه الابيات وهي ثلاثة .

وفي ٥٣/١ يؤرخ تسلم السلطان نور الدين عمر حصن التمكر بسنة ٦٣٧ هـ والصحيح ٦٢٧ هـ . وتسلم حصن حبّ سنة ٦٣٨ هـ والصحيح ٦٢٨ هـ ، وذلك ما يقتضيه سياق الأحداث الحولي ، ولو عاد الى العسجد ١٩٣ لوجد التاريخين الصحيحين . وحين يقابل في ٢٣٨/١ مع العسجد ٢٧٥ (مع ملاحظة أنه لا يذكر صفحات العسجد حين يرجع اليه في كل مرة) تكون المقابلة ناقصة . من ذلك قول الخليفة في السطر السابع من الاخير : « لقد خليت بيننا وبين الانتفاع به يا شيطان » فهو لا يشير الى لفظة « شيطان » الساقطة ، ولا يذكر أن لفظة « خليت » هي في العسجد « جلّت » وهي اللفظة الموافقة للمعنى في هذا الموضع . وفي الحاشية ، في الصفحة نفسها « من شعراء » وليس « من شعر » وفي ٦٦/٢ حاشية يقول : في العسجد « سار إلى » ولكنها في العسجد ٣٧٩ « صار » وفي ٣٥٨/١ ثلاثة ابيات شعرية غير منسوبة ولو رجع الى العسجد ٣٣٤ لوجدها منسوبة للمتنبي ، وهي كذلك في ديوانه . وأكاد أقول : ان المقابلة بالعسجد تقوم على الانتقاء وإسقاط الغرض العلمي في التصحيح أو التحقيق ، والظهور بمظهر المصحح أو المحقق الدقيق ، وإلا فاننا لو دققنا في نص من النصوص التي قابلها ــ على سبيل المثال ــ وهو قصيدة تتالف من سبعة وأربعين بيتاً ١٠٩/١ لوجدناه يقف عند البيت ١٨ وهو :

وقومي يوم الروع حسنٌ وفي الندى
بحور وحلماً كالجبال ركود

ثم يقول في الحاشية : « في العقد حين وهو أصوب » . وهذا فهم خاطيء للمعنى . ورواية العقود والعسجد واحدة وهي الاصوب ، فالشعراء حين يفخرون بصولة القبيلة أو القوم يعبّرون عن القوم الغاضبين بلفظة « الجنّ » والشاعر الفرزدق قال :[١٤١] .

أحلامنا تزن الجبال رزانة
وتخالنا جنّاً إذا ما نجهل

ويقابل بالعسجد ٢٢٩ في إشارته الى لفظة « بعونك » في البيت ٤٤ في القصيدة نفسها ، قائلاً : في العسجد بعزّك . ولكن المقابلة الكاملة للقصيدة كانت تقتضي منه الاشارة الى اختلافات أخرى كثيرة في الابيات .

١ ــ ٢ ــ ٤ ــ ١١ ــ ١٣ ــ ١٦ ــ
١٧ ــ ١٨ (المذكور)
ــ ١٩ ــ ٢٠ ــ ٢١ ــ ٢٢ ــ ٢٥ ــ

www.dorat-ghawas.com

٢٧ ــ ٢٩ ــ ٣٢ ــ ٣٣ ــ ٤٠ ــ

٤١ ــ ٤٤ (وهو البيت الوحيد الذي قابله) فهذا أنموذج يظهر سطحية المقابلة وعدم جديتها . وكان من المفروض أن تكون المقابلة مع العسجد في هذه الفصول شاملة ، لان ما فيه يكاد أن يكون بالنسبة لاي مصحح نسخة ثانية للعقود ــ وإن كان ما في العقود أكثر تفصيلًا في غالب الاحيان ــ في حين أننا نجد مجموع مقابلاته في حدود ثلاثين مرة ، وهي بمجموعها موجزة ناقصة .

وعدم الدقة هذه ، نتبين لها أمثلة في كتاب « قرة العيون » الذي حققه المرحوم الاكوع ، مما له صلة بكتاب « العقود » فهو يعلق على قصيدة دالية طويلة في القرة ١١٥/٢ تعليقات كثيرة ، لا نجدها على القصيدة ذاتها في العقود ٢٣٢/٢ ومنها : إشارته إلى الايطاء في البيت الخامس إذ يقول في الحاشية ٣ في الفقرة : « ثم وجدت في العقود اللؤلؤية قبل هذا البيت أبياتاً ، وحينئذٍ فلا إيطاء » وهذا القول ليس رفيقاً ، فما بين هذا البيت والبيت المتقدم عليه ذي القافية المتشابهة وهي « البلاد » خمسة أبيات فقط ، وهذا العدد من الابيات لا يكفي للقول « بلا إيطاء » فضلًا عن أن قوله يوحي بأن العدد أكثر من خمسة أبيات ! وفي مثال آخر يشير المصحح في القرة ٣٣/٢ حاشية ٣ الى أنه صحح لفظة في نص من نصوص العقود ، وحين نرجع إلى النص في العقود ١١٥/١ نجد اللفظة مصححة كما ذكر ولكن دون الإشارة الى ذلك في الحاشية ! وكان جديراً به أن يذكر هذا في كتاب العقود وهو أمر لازم ، وهذا يقودنا الى تساؤل : هل كان المصحح يجيز لنفسه التصحيح في مواضع أخرى دون الاشارة كذلك ؟ وآخر ما نقف عنده في هذا المجال النص الذي ذكره المؤلف عن دخول رسول ملك الهند على السلطان عمر الرسولي ٨١/١ : « فلما خرج قال لترجمانه .... ثم قال قولًا بالعجمي فوجده : ياخذها نو شامة من بعده ــ ويلتقيها مسعد من بعده ــ لا تنقضي من نسله وولده . وبعد مقابلة المصحح لهذا النص بالعسجد ٢٠٧ قال في الحاشية : عبارة العسجد : ثم قال قولًا بالعجمية لوحده ترجمانه شعراً : ياخذها نو شامة في خده ــ ويلتقيها مسعدٌ من بعده ــ لا تنقضي عن نسله وولده . والمقابلة جيدة ، ولكن المصحح كتب الاشطر الشعرية الثلاثة وكانها نثر ، في حين أنها كتبتِ في العسجد بالرسم الشعري المطلوب ولا حاجة للتقيد بطريقة كتابتها النثرية كما هي في الطبعة الاولى .

ثم إن لفظة « فوجده » هي في العسجد كما هي في العقود ولا تقرأ « لوحده » كما ذهب إلى ذلك المصحح ، ولعل « فوجده » أقرب للمعنى من « لوحده » وقد تكون اللفظة مصحّفة عن « موجزه » والله أعلم .

ــ إنه يتابع المصحح الأول بالتغيير في الاصل دون أن يذكر في الحاشية مصدر هذا التغيير ، وقد يكون هذا التبديل بعيداً عن الرسم الأصلي كما في ١٩/١ ، فالبيت في الأصل هكذا :

ويظهـــر رايـة المنصـور فيهم
على خـــاء مخففـــة ولام

وقد كرره المصَنف بهذه الصيغة في ٥٦/١ ولكننا نجد المصحح يستبدل لفظة « مخففة » بـ « إذا نطقوا » وقد ورد البيت مرة ثالثة في ٢٠/١ بصيغة « إذا نطقوا » فلعل المؤلف هو الذي تعمد ذكر البيت بروايتين مختلفتين .

وتتكرر متابعته للمصحح الأول في التغيير دون مبرر مقبول كما في ١٨/١ ، إذ ورد البيت الشعري هكذا ،

لاغـزو أعبـداً جهلـــوا مكـاني
(سلالة) يـــا فث وقبيل حـامِ

إذ يشير المصحح في الحاشية الى أنه وضع لفظة « سلالة » بدل « من بني » لتلافي اختلاف الوزن ولكن الاقرب الى الاصل أن تكون ــ كما أرى ــ (من أبني) بصيغة التثنية أو « من أبنا » بحذف الهمزة الاخيرة . فيستقيم المعنى والوزن ونتلافى مثل هذا التغيير البعيد . (تنظر مثل هذه التغييرات في ٣٠/١ ــ ٣١ ــ ٣٥ ــ ٣٦ ــ ...)

ــ لا ينسب المصحح الأبيات ــ وخاصة المشهورة ــ الى أصحابها ومنها هذا البيت ١٢٢/١ :

فـإن كنت مـاكـولًا أنت آكلي
وإلّا فـــادركني ولمـــا أمـــزّقِ

وهو للممزّق العبدي وبه لُقّب . (لباب الآداب ٢٦/٢ مع شيء من التغيير) . وكذلك هذا البيت ٦٣/١

إذا لم يكن إلا سنّـة مـركبـاً
فـلا رأي للمضطر إلا ركـوبها

وهو للكميت بن زيد الأسدي ، مع شيء من الاختلاف في لباب الآداب ٥١/٢ . وهذان البيتان في ١٧١/١

هي منـــازل ســـادة أجـــواد
ومحـلّ جـود شـــامـل وأيـــادِ
قصر الخورنق والسـدير مقصُـر
عنه ونو الشرفات من سنداد

www.dorat-ghawas.com

فهما للأسود بن يعفر . لباب الآداب ١٧/٢ مع شيء من التغيير . فضلًا عن خمسين بيتاً ــ بعضها مشهور غير منسوبة في العقود وجدتها في ديوان المتنبي كالآتي ٦٨/١ ــ ٨٤ ــ ٨٩ ــ ١٠٢ ــ ١١٦ ــ ١٣٢ ــ ١٥٠ ــ ٢١٢ ــ ٢٢٤ ــ ٢٢٤ ــ ٢٢٤ يقابلها في العقود على التوالي ٦٩/٢ ــ ٨١ ــ ١٥٢ ــ ١٤١ ــ ٣٥٨/١ ــ ١٤٤/٢ ــ ١٢٩ ــ ٦٦ ــ ١٥٥ ــ ١٣ ، وفي جـ٢ من الديوان ٦٠ ــ ٧٢ ــ ٧٦ ــ ٧٧ ــ ١٠٩ ــ ١٢٥ ــ ١٣٥ ــ ١٣٩ ــ ١٥٤ ــ ١٥٤ ــ ١٥٦ ــ ١٦١ ــ ١٧٢ ــ ١٧٧ ــ ١٩٥ ــ ٢١٢ ــ ٢٦١ ــ ٢٧٥ ــ ٣٢٢ يقابلها في العقود على التوالي ٧٤/٢ ــ ١٥٤ ــ ٢٥٥/١ ــ ٢٥٥ ــ ١١٤/٢ ــ ٦٧ ــ ١٥٢ ــ ١٤٥ ــ ١١٢ ــ ٦٨ ــ ٢١٢ ــ ١٥٣ ــ ١٤٩ ــ ٦٥ ــ ١٤٢ ــ ٢٣٠ ــ ١٨٦ ــ ١١١ ــ ١٥١ ــ ١٤٨ ــ ١٨٢/١ .

ــ تفتقر النصوص الشعرية الى التشكيل وخاصة المفردات التي يتوجب إيضاح المعنى ضبطها . نعم هناك تشكيل ولكنه قليل وليس في المواضع الضرورية . وهناك العديد من الاخطاء النحوية منها لفظة (حسام) في الشطر الثاني من البيت ٨ في ٤٤/١ فقد حركت بالرفع والمعنى يقتضي نصبها مفعولًا به ، وهي في العسجد منصوبة . ولفظة (وشم) في صدر البيت ١٨ في ٢٣٢/٢ فقد شكلت الشين بالكسر والميم بالسكون ، وكانها فعل أمر ، وبهذا التشكيل لا يستقيم وزن البيت والصحيح « وشُمَّ » بضم الشين وكسر الميم المشددة جمع أشم وكذلك يقتضي المعنى .

ومن ذلك ضم الفعل « تضبحُ » بعد لا الناهية في آخر بيت ١٢٩/١ والصحيح « لا تضجَّ) لأن الفعل مضعّف الحرف الثاني بدليل قوله :

..... فقلت لا

تضــجَّ وبادر نحــو كل منــافق

وفي حاشية ٣٠٧/١ « ولم اتحقق كلا اللفظتين » والصحيح « كلتا » وهناك بعض هنات عروضية ، من ذلك عدم تدوير الأبيات ١٠ ــ ١١ ــ ٢٢ ــ ٤٢ في ٢ / ١٣٧ والبيت ٢٧ في ١٧٢/٢ ، وزيادة في البيت الثالث المدور ١ / ٢٨٧ وعدم تنوين لفظة (خنائس) في البيت السابع ليستقيم الوزن ٣٠٦/١ .

ــ الملاحظ أن الاخ المصحح لم يول كتاب العقود الاهتمام المطلوب لاخراجه بالشكل العلمي المنتظر ، وأنه لم يبذل فيه ما بذله في إخراج كتاب السلوك للجندي والقرة لابن الدبيع . فهو في الكتاب الاخير ــ على سبيل المثال ــ يعرّف بالاعلام والإماكن ، ومن ذلك تعريفه بالحوبان وذخر وعيذاب والفخرية ، وكذلك معاني بعض المفردات مثل لفظة العوارين إذ قال : إنهم الفتّاك واللصوص ٧٣/٢ كما عرّف بالشاعر عبد الله بن جعفر ٥٧/٢ والاعشى في ٩٤/٢ وتيمورلنك في ١٠٨/٢ ، ومثل هذا لم يفعله في « العقود » حين تعرّ اسماء الاعلام والمواضع . وكذلك الامر بالنسبة لمفردات كثيرة مثل : العوارين ، درانك ، الحرافيش ، الجامكية .... التي شرحها وشرح أمثالها في السلوك ٥١٥/١ قائلًا : « المرتب الشهري والكلمة من الدخيل ، وشرح الجندارية في السلوك ٤٩٣/١ قائلًا : ألقاب عسكرية » وغير هذا كثير .

ــ من يقارن بعض تصحيحات الطبعة الثانية بالطبعة الاولى يجد على سبيل المثال : في ٢٣/٢ السطر الاخير من الطبعة الثانية لفظة « الجدابي » وما في الطبعة الاولى ١٤/٢ « الجدائي » وهو الصحيح بدليل ما ورد بعده في قول المصنّف : نسبة الى صنف من الحبشة يقال له جِداية بكسر الجيم ودال مهملة وألف بعدها ياء مثناة من تحت مفتوحة وآخرها هاء . وفي ٦٦/٢ يتابع المصحح الثاني المصحح الاول ٧١/٢ في كتابة نص نثري وكانه بيت شعر ثم يوضح ذلك في الحاشية ، ولا داعي لمثل هذه المتابعة العقيمة . وكذلك الحال حين يكتب بيت المتنبي في ١٥٥/٢ دون تدوير متابعاً بسيوني في ١٨٢/٢ . وفي ١٧١/٢ البيت الثاني زيادة « على » قبل القافية دون تصحيح متابعاً بسيوني في ٢٠٢/٢ . وفي ١٩١/٢ السطر الاخير « التزموا بما التزمت وكونوا ... أو كالبنيان ، وكالبقرة الواحدة في الاديان » وقد تابع في لفظة « البقرة » العسجد ٤٦٨ دون إشارة ، واللفظة في الطبعة الاولى « كالنمرة » وربما كانت هي الاصح في سياق المعنى العام للنص . وفي ٢٥٥/٢ لفظة « غلا » في البيت ١٦ وبهذا الرسم يكسر الشطر : فلو جاز أن تُفدي لما غلا الفدى .... وفي الطبعة الثانية ٢٥٥/٢ « غليَ » وبهذا الرسم يستقيم وزن الشطر.

ويلاحظ أن بعض حواشي الطبعة الثانية لا يميزها المصحح عن حواشي الطبعة الاولى من ذلك : في ١٢/٢ يقول

www.dorat-ghawas.com

المصحح الاول في الحاشية : كذا في الاصل من غير نقط . وفي ٢/٢٢ تاتي حاشية المصحح الثاني هكذا : كذا في الاصل من غير نقط وكذا في المسجد . ومن لم يطلع على الطبعة الاولى يبدو له أن هذه الحاشية كلها للمصحح الثاني . ونقرأ في حاشية ٢/٢٤ قول المصحح الثاني : كذا في الاصل ولعله جد المذكور أولًا » ونرجع الى النص في الطبعة الاولى ٢/١٥ فلا نجد حاشية ، وهذا يعني أن المصحح الثاني يطلق لفظة « الاصل » فتدل مرة على طبعة يسيوني وتدل ثانية على الاصل المخطوط في حين لا يتوفر هذا الاصل لدى المصحح الثاني . مع العلم أن هناك لفظة في هذا النص لم يوردها المصحح الثاني ، ومثل هذا نجده في الصفحات ٢/٣٨ ــ ٣٩ ــ ٦١ في الطبعة الثانية ويقابلها في الطبعةالاولى ٢/٣٤ ــ ٣٥ ــ ٦٥ . وفي ٢/١٧٧ يقول المصحح الأول في الحاشية (ما هنا ممحو في الاصل) وهذا الممحو نجده موضحاً في الطبعة الثانية ٢/١٥١ دون أن يشير المصحح الثاني في الحاشية الى مصدر هذه الزيادة !

ــ لقد كانت هذه الطبعة بحاجة ماسة الى مراجعة دقيقة ليصار بعدها الى وضع فهرس بالخطأ والصواب ، لتكون صورة الاخراج أبعد كمالًا ، وليضاف فهرس واحد في الاقل لفهارس الطبعة الاولى .

وبعد : فهذا الذي تقدم من ملاحظات ، لا يقلل من قيمة الجهد المبذول في إخراج هذا الكتاب ووضعه بين أيدي الدارسين ومحبّي التاريخ ، الذي سيعجبون بجهد أنيق وأكبر بذله المصنّف الخزرجي وهو يصوغ عقوده الفريدة ليخرج القارىء وقد نهل ألواناً معرفية عنيت بشؤون السياسة والأدب والاجتماع . وسيظل واحداً من أهم مصادر الدراسات التاريخية والتراثية في حقبة زاهية من تاريخ اليمن في عصره الوسيط .

المصادر والمراجع والحواشي

(١) في شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي طـ . دار الفكر ٧/٩٧ « علي بن الحسين » ولقب بشمس الدين بدل موفق على غلاف المسجد المسبوك والصفحة بعده المطبوعتين ، وهذا وهم .

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي طـ مكتبة الحياة ببيروت ٥/٢١٠ والمصدر السابق كذلك .

(٣) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لأبي الحسن الخزرجي . طـ . دار الآداب بيروت ١٩٨٣ م ٢/٢٥٠ .

(٤) الضوء اللامع والشذرات .

(٥) العقود ١/١١ .

(٦) المصدر السابق ١/١٠ .

(٧) قرة العيون باخبار اليمن الميمون لعبد الرحمن بن الديبع طـ . السعادة ٢/١٨ وما بعدها .

(٨) تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ، منشورات دار ومكتبة الحياة ــ بيروت ٣/٢١٤ .

(٩) الاعلام الطبعة الثالثة ٥/٨٣ .

(١٠) تاريخ الأدب العربي . عصر الدول والامارات . طـ . دار المعارف بمصر ٥/٨٦ .

(١١) العقود ٢/١١ . الذجر : الأصل .

(١٢) كذلك ٢/١٤٩ .

(١٣) في المسجد المسبوك في من ولي اليمن من الملوك لأبي الحسن الخزرجي . مخطوط . صوّرته وزارة الاعلام والثقافة في الجمهورية اليمنية وصُدّر بمقدمة سنة ١٩٨١ م ٣٩٩ (سنينة) وفي ثغر عدن لابن أبي مخرمة طـ . دار الجيل ببيروت ودار عمان بعمان ٥٣ سنينة .

(١٤) العقود ٢/٩٢ .

(١٥) كذلك ٢/٢٥٠ .

(١٦) كذلك ٢/١٧١ .

(١٧) الشذرات ٧/٩٧ والضوء اللامع .

(١٨) الاعلام ٥/٨٣ .

(١٩) مقدمة الناشر ج .

(٢٠) كذلك .

(٢١) مقدمة « لباب الآداب » للثعالبي ت . د . قحطان رشيد صالح . طبع ونشر دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٨٧ م .

(٢٢) مقدمة كتاب غرر البلاغة للثعالبي ت . د . قحطان رشيد صالح طبع ونشر دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٩٨ م ١٧ .

(٢٣) العقود اللؤلؤية ٢/٢٦٠ .

(٢٤) كذلك ١/١٤ .

(٢٥) المصدر نفسه ١/١٠ .

(٢٦) الضوء اللامع ٥/٢١٠ .

www.dorat-ghawas.com

(٢٧) تاريخ آداب اللغة العربية ٢١٤/٣ .
(٢٨) الاعلام ٨٣/٥ وتاريخ آداب اللغة العربية ٢١٤/٣ .
(٢٩) العقود ١٠/١ .
(٣٠) كنلك ٢٦٢/٢ .
(٣١) الاعلام والعقود ١ / ١٠ .
(٣٢) العقود ١ / ١٠ .
(٣٣) كنلك ١ / ١٠ ــ ١١ .
(٣٤) العقود ٢٠/١ ــ ٢١ .
(٣٥) العقود ١٤/١ ــ ١٥ .
(٣٦) العقود ٥٦/١ .
(٣٧) المسجد ١٩٠ .
(٣٨) العقود ٣٨/١ .
(٣٩) المصدر نفسه ١٦/٢ وينظر ٤٦/١ .
(٤٠) تنظر على سبيل المثال العقود ٥٤/١ ــ ٧١ ــ ١١٧ ــ ١٢٧ ــ ٣٥٥ وغيرها . (٤١) كنلك ١٣٤/١ ــ ١٣٥ .
(٤٢) السلوك، في طبقات العلماء والملوك للجندي طـ . أولى نشر وزارة الاعلام والثقافة اليمنية ١٩٨٣ م ٤٩٩/١ ــ ٥٠٠ وينظر ١٤٨/١ من العقود و ٥٥١/١ من السلوك . وفي غير هذين الموضعين .
(٤٣) العقود ٤٦/١ ــ ٢٩٠ .
(٤٤) كنلك ٣٤/١ وفي مواضع أخرى .
(٤٥) عصر الدول والامارات ٨٦/٥ .
(٤٦) العقود ٣٧/٢ .
(٤٧) المصدر نفسه ٣٤٥/١ ، ١١٧/٢ــ ١٥٥ .
(٤٨) كنلك ٦٥/٢ .
(٤٩) كنلك ٢١٣/٣ .
(٥٠) نفسه ١ ــ ٢٥٠ ــ ٣٤٢ ، ٥٣٢ .
(٥١) كنلك ١٢١/١ ــ ٢٣٩ ــ
٢٤٠ ، ٣٩/٢ ــ ١٢١ ــ
١٦٧ ــ ١٩٦ ــ ٢٥٠ .
(٥٢) كنلك تنظر على سبيل المثال الصفحات ٢٨٣/١ ــ ٢٩٤ ــ ٢٩٥ ــ ٢٩٦ ــ ٣٠٥ ــ ٣١٧ .
(٥٣) نفسه ١١٥/١ .
(٥٤) كنلك ٢٨٢/١
(٥٥) كنلك ٢٥٩/١ .
(٥٦) كنلك ١٨٢/٢ .
(٥٧) كنلك ٢٥٨/١ .
(٥٨) كنلك ١٨٨/٢ .
(٥٩) كنلك ٦١/٢ .
(٦٠) كنلك ٧٠/٢ .
(٦١) كنلك ٢٥١/١ و ١١١/٢ .
(٦٢) كنلك ٢٦٨/١ و ٩٠/٢ .
(٦٣) كنلك ٧٠/٢ .
(٦٤) كنلك ١٨٥/٢ .
(٦٥) كنلك ١١٩/١ .
(٦٦) كنلك ٢٥٨/٢ .
(٦٧) كنلك ١١٤/١ .
(٦٨) تنظر الصفحات ١ / ٥١-٢٤١ ــ ٢٦٨ ، ١١١/٢ .
(٦٩) ١٦٤/١ .
(٧٠) كنلك ٥٩/١ .
(٧١) ٣٠٣/١ .
(٧٢) ٢٤٩/٢ ــ ٢٥٠ .
(٧٣) ٢٣٣/١ ، ٣٠٤ ، ٥٧/٢ ، ١٠١ .
(٧٤) ١٦٧/٢ .
(٧٥) ٧٨/١ .
(٧٦) ١٠٤/١ .
(٧٧) ١٦٨/١ .
(٧٨) ينظر ١٠٥/١ ــ ١٢٧ ــ ٣٣٥ و ١١٧/٢ .
(٧٩) ينظر١/٦٠ ــ ٦١ ــ ٧٥ ــ ١١٨ ــ
١١٩ ــ ١٢٠ ــ ٣٣٦ .
(٨٠) تنظر الصفحات ٢٦/١ ــ ٢٧ ــ ٢٩ ــ ٣٢ ــ
١٠٣ ــ ١١٧ ــ ١٨٦ ــ ٢٣١ و
٧٤/٢ ــ ١٩١ ــ ٢٠٤ .
(٨١) ينظر فهرس الكتب ٣٩٣/٢ .
(٨٢) ١٦٠/٢ .
(٨٣) ينظر كتابه « عصر الدول والامارات »
١١٢/٥ ــ ١١٣ ــ ١١٤ ــ ١١٥ ــ ١٢٧ ــ ١٢٨ .
(٨٤) ١٢٣/١ ــ ٢٣٣ و ٥٧/٢ .
(٨٥) ١٤١/١ ــ ٢٨٥ .
(٨٦) ٣/١ .
(٨٧) ٨٤/٢ .
(٨٨) ٢٤٦/١ و ١٠١/٢ .
(٨٩) ١٣٤/١ ــ ٢٠٨ ــ ٢٣٣ و ١٠١/٢ ــ ١٠٧ .
(٩٠) ٢٠٦/١ .

www.dorat-ghawas.com

(٩١) تنظر على سبيل ١/٨٣ــ ٣١١ــ ٣١٣ــ ٣٥٨ و ٢/٦٤ــ ١٠٦ .

(٩٢) ينظر على سبيل المثال ١/٤١ ، ٥٤ ، ٧٢ ، ١١٢ ، ١١٦ ....

(٩٣) تاريخ الرسل والملوك للطبري الطبعة الاوربية ١/٧ .

(٩٤) ١/٢٠ .

(*) الأرقام العربية . مطبعة المجمع العلمي العراقي . بغداد ١٩٨٢ م ص ٩ .

(٩٥) ١/٢١ .

(٩٦) ١/٢٤ .

(٩٧) ١/٢٨ .

(٩٨) تاريخ الرسل والملوك ١/٧ .

(٩٩) ١/٢٣٢ .

(١٠٠) ١/٣٤ .

(١٠١) ١/٤٧ــ ٤٨ .

(١٠٢) ١/٥٦ .

(١٠٣) (١٠٤) ١/٢٣٨ .

(١٠٥) ٢/٢٤٠ــ ٢٤١ .

(١٠٦) ينظر المسجد ، ٤٣٢ ، ٤٧٢ ، ٤٧٨ .

(١٠٧) نقلًا عن العقود ١/١٠ .

(١٠٨) العقود اللؤلؤية ٢/١٩٧ .

(١٠٩) ٢/١٧١ .

(١١٠) (١١١) ٢/١٣٦ .

(١١٢) ٢/٢١٠ .

(١١٣) الضوء اللامع ٥/٢١٠ .

(١١٤) العقود ١/٢٣١ .

(١١٥) ١/٤٠ .

(١١٦) ١/٨١ .

(١١٧) ١/٥١ .

(١١٨) ٢/٢٥٠ .

(١١٩) ١/٢٥٨ .

(١٢٠) ٢/٦٥ .

(١٢١) ٢/١٥٣ وينظر ٢/٦٧ــ ١١٤ ، ١٢٩ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٣ .

(١٢٢) ١/٢٤٩ .

(١٢٣) ٢/٧٧ .

(١٢٤) ١/٦٣ .

(١٢٥) ٢/٦٣ .

(١٢٦) لباب الآداب ٢/٤١ .

(١٢٧) ٢/٣٥ .

(١٢٨) ٢/٣٩ .

(١٢٩) ٢/٥٢ .

(١٣٠) ٢/٧٠ .

(١٣١) ٢/١٠٠ .

(١٣٢) ٢/٣٧ .

(١٣٣) ٢/٢١ .

(١٣٤) تنظر ٢/١٦ــ ١٢٣ــ ١٤٨ــ ١٤٩ وغيرها كثير .

(١٣٥) تنظر ٢/١٩٤ــ ١٩٥ــ ١٩٦ .

(١٣٦) ينظر ١/٧٨ ، ٢٥١ ، ٢٦٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣ ، ٢/٨٣ .

(١٣٧) ينظر ١/٣٨ ، ٩٠ ، ٢٤٣ ، ٢٧١ ، ٨٤ و ٢/٤١ .

(١٣٨) ١/١٤١ ، ٢٣١ .

(١٣٩) شذرات الذهب ٧/٩٧ .

(١٤٠) تنظر الصفحات في العقود

١/٤٣ــ ٤٤ــ ٤٥ــ ١٨٦ــ ١٨٧ــ ٢٢٩ــ ٢٣٠ــ ٢٣٦ــ ٢٣٧ــ ٢٣٨ــ ٢٥١ــ ٢٥٢ــ ٢٥٤ــ ٢٦٤ــ ٢٦٦ــ ٢٧٢ــ ٢٧٧ــ ٢٨٣ــ ٢٨٩ــ ٢٩١ــ ٣٠٥ــ ٣١١ــ ٣١٥ــ ٣٣٠ــ ٣٥٨ــ ٢/٣٦ــ ٦٦ــ ٧٤ــ ١٠٦ــ ١١٤ــ ١٣٦ــ ١٩١ــ ١٩٧ــ ٢١٠ــ ٢٦٠ــ ٢٦١

وتقابلها الصفحات في المسجد على التوالي نفسه ١٨٦ــ ١٨٧ــ ١٨٧ــ ٢٥٧ــ ٢٥٨ــ ٢٦٩ ٢٦٩ــ ٢٧٤ــ ٢٧٤ــ ٢٧٥ــ ٢٨١ــ ٢٨١ــ ٢٨٢ــ ٢٨٣ــ ٢٨٨ــ ٢٩٠ــ ٢٩١ــ ٢٩٣ــ ٢٩٣ــ ٢٩٤ــ ٢٩٧ ٣٠٠ــ ٣٠٢ــ ٣٠٥ــ ٣٠٩ــ ٣١٣ــ ٣١٥ــ ٣٢٤ــ ٣٣٤ــ ٣٥٥ــ ٣٧٩ــ ٣٨٤ــ ٤٠٧ــ ٤١٢ــ ٤٣٣ــ ٤٣٤ــ ٤٦٨ــ ٤٧٢ــ ٤٧٢ــ ٤٧٨ــ ٤٧٩ ٥٠٦ــ ٥٠٧ .

(١٤١) ديوان الفرزدق / شرح علي فاعور . ط . دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٨٧ــ ٢/٤٨٩ .

www.dorat-ghawas.com